المملكة العربية السعودية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عمادة التعليم عن بعد
كلية الشريعة ـ الانتساب المطور



(ترب ٣٥٠)

مقرر أصول التربية الإسلامية

المستوى السادس

أستاذ المقرر:
د / عبد اللطيف الرباح

(المذكرات تم تفريغها سماعاً من المحاضرات الصوتية)
إعداد طلاب وطالبات كلية الشريعة
انتساب مطور
(نسخة مدققة ومزيدة)
١٤٣٣هـ

(كتب الله أجر كل من عمل على إعدادها وجعلها له صدقة جارية)

﴿تـقـديـم﴾

هذه هي الطبعة النهائية لمذكرات كلية الشريعة انتساب مطور تعليم عن بعد

وقد اعتمدت بتوفيق من الله بعد أن تم تدقيقها أكثر من مرة

من قبل طلاب وطالبات كلية الشريعة انتساب مطور

واخترنا أفضلها تدقيقاً وتم تلوينها وتنسيقها لتكون هي الطبعة النهائية

ولأنها جهد بشري لا يخلو من الخطأ ولا يصل للكمال

فنرجو عند وجود خطأ أو ملاحظة

كتابة تنبيه في الموضوع المخصص لذلك في منتدى المستوى الخاص بالمذكرة

في منتدى مكتبة كلية الشريعة: www.imam8.com

وسوف يتم تصحيح الأخطاء بعد التنبيه عليها من قبل القائمين على إعداد المذكرات

ونسأل الله جزيل الثواب لكل من يعين على ذلك ويشاركنا فيه

(مجموعة إعداد مذكرات كلية الشريعة انتساب مطور)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي فطر الناس على الفطرة السوية والدين الحق ، وصلى الله وسلم على خير المعلمين وأفضل المربين نبيِّنا محمد ، وعلى من اقتفى أثره إلى يوم الدين ، أما بعد ؛

قال تبارك وتعالى في محكم التنزيل {**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠)**} الروم. وحتى يمكن المحافظة على هذه الفطرة سليمةً ، صافيةً ، نقيةً كان لابد للإنسان من ((تربيـــةٍ)) تقوم على رعاية هذه الفطرة ، والعناية بها في كل شأن من شؤونه ، وفي كل جانبٍ من جوانب حياته.

تم بحمد الله إعداد **مذكرة مادة أصول التربية الإسلامية** – المستوى السادس - كلية الشريعة ، التعليم عن بعد ، وقد تم تفريغها من الحلقات الصوتية المسجلة ، ثم مراجعتها ، ثم تلوينها و تنسيقها لتظهر بأجمل حلَّة ، وقد تم فيها مراعاة بعض الأمور منها :

- حذف الجمل أو الألفاظ المتكررة ، وإعادة صياغة الغير واضح منها.
- التعداد النقطي لبعض الموضوعات ، وإضافة بعض العناوين الفرعية قد يكون في مواضع قليلة جدًا باجتهاد من القائمين على إعداد المذكرة.
- في نهاية المذكرة أُلحق فهرس لموضوعات المادة .

بسم الله الرحمن الرحيم

إخواني وأخواتي طلاب وطالبات المستوى السادس في كلية الشريعة، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأهلاً وسهلاً بكم في مقرر **أصول التربية الإسلامية**، لعل هذا المقرر يأتي في مقدمة مجموعة من المقررات المتعلقة بالإعداد التربوي لطلاب كلية الشريعة.

وحينما نتحدث عن مقررات الإعداد التربوي نعني بها: مجموعة من المقررات وضعت ضمن المنهج الدراسي لتساعد الطلاب والطالبات أن يتأهلوا التأهيل الكافي للالتحاق بمهنة التدريس، فهذه المقررات تساهم في إعطاء الطالب والطالبة فكرة جيدة ومناسبة إلى حد ما لأهمية عملية التعليم وأدائها إن شاء الله تعالى بالطريقة الصحيحة، فهذا المقرر الذي هو مقرر أصول التربية ويصحبه أيضا المناهج وطرق التدريس ثم ما يتبعها من مقررات هي تصب في هذا الاتجاه الذي هو الإعداد التربوي لطلاب وطالبات كلية الشريعة للعمل في مهنة التدريس.

بل إن لهذه المجموعة من المقررات هدفاً آخر وأشمل وهو مساعدة آباء وأمهات المستقبل لتربية أبنائهم وبناتهم التربية الإسلامية الصحيحة، فدراسة التربية والفكر التربوي مهمة للآباء والأمهات ومهمة للمعلمين والمعلمات، فكيفية التعامل الصحيح والمناسب مع الأبناء بطريقة علمية صحيحة ، والتعامل المناسب مع الطلاب والطالبات بالطريقة الصحيحة هذه هي مسؤولية المربي، وهي التي تميز المربي الناجح المؤهل عن المربي الآخر الذي ربما يمارس عمله بالاجتهاد ويستخدم أسلوب المحاولة والخطأ في موضوع هام وحساس لا يحتمل المحاولة والخطأ وإنما يتطلب أداء العمل صحيحًا ومن أول مرة.

أستـاذ المقـرر : د. عبداللطيـف الربـاح

الحلقة (١)

❑ الفصل الأول : " التربية " بمفهوم عام

قبل الدخول إلى هذا المقرر الهام من المناسب أن نتحدث عن كلمة " التربية " كـ مفردة ، كـ فن ، كـ علم ، كـ ممارسة، بالرجوع إلى الأصول اللغوية لكلمة " تربية " نجد أنها ترجع إلى معانٍ عدة لعل أبرزها المعاني التالية :

١. الأصل الأول لكلمة " تربية " ← ← ← أنها مشتقة من رَبَا : يربو

والمعنى : نما وزاد، فهي تعني النمو والتنمية ، وزيادة ملكات الطفل وزيادة قدراته وزيادة معلوماته وزيادة مهاراته وزيادة أخلاقه وقيمه، التربية تهتم بهذا الجانب و مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعملية تفتيق وتنمية مواهب وقدرات الطفل والسعي بها نحو الكمال.

٢. الأصل الثاني لكلمة " تربية " ← ← ← رَبِـيَ : يَـرْبَـى

بمعنى : نشأ وترعرع، يقال فلان ربيَ في بادية فلان أي نشأ فيها وترعرع فيها، ومنه قول الشاعر:

ومن يك سائلاً عني فإني . . . . بمكة منزلي وبها رَبِـــيْتُ.

فهذا الأصل ينصب على التنشئة والبيئة التي ينشأ فيها الطفل ويترعرع ، ويمكن أن يُتوسع في هذا، فلا يقصد به البلد فقط وإنما يقصد به المؤسسة التعليمية، يقال: هذا تَـرَبَّـى في مدرسة تحفيظ القرآن، هذا تربى في المعاهد العلمية، هذا تربى في جامعة الإمام، هذا تربى في بيت آل فلان - بيت معروف بالصلاح والتقى والعلم - هذا تربى في البلدة الفلانية، بلدة يشتهر أهلها بالصلاح والبيئة الدائمة للجوانب الخيرية .

٣. الأصل الثالث للتربية: ← ← رَبَّـا "بتشديد الباء" يَـرُبُّ

والمعنى : الإصلاح والحفظ والرعاية، وهذه أيضاً من المعاني المفعمة والهامة في عملية التربية، تعني رعاية الطفل والمحافظة عليه وإصلاحه وتتبع حاله والاستمرار في ذلك حتى يشب ويكبر و يصلح ويشتد عوده.

- إذن هذه الثلاث المعاني:

(١) رَبَا يَرْبُو بمعنى نما وزاد ، (٢) رَبِـيَ يَـرْبَـى بمعنى نشأ وترعرع، (٣) رَبَّـا يَـرُبُّ بمعنى أصلح وحفظ ورعى

- **لو تأملنا هذه المعاني الثلاث لوجدنا كل معنى يرتبط بجانب مهم من جوانب العملية التربوية والعملية التعليمية.**

١. **رَبَا : يَرْبُو بمعنى : نما وزاد، هذا المفهوم يصف** ← حال الطفل أو التلميذ وما يحصل له نتيجة العملية التربوية وهي عملية الزيادة في الجوانب الإيجابية، ربا يربو يتعلق بجانب يصف ماذا يحصل للطفل.

٢. **رَبِـيَ : يَـرْبَـى بمعنى : نشأ وترعرع، هذا المفهوم يصف** ← البيئة التي ينشأ فيها الطفل وكلنا ندرك ونعرف ما للبيئة من أثر هام وحاسم في التأثير على الطفل، فالبيئة الجيدة هي الداعمة والمعززة للجوانب الإيجابية ومعينة على صلاح المتعلم أو التلميذ أو الطفل.

٣. **رَبَّـا : يَـرُبُّ بمعنى : أصلح وحفظ ورعى هذا المفهوم يصف** ← ما يقوم به المربي أو النشاطات التي ينبغي أن يقوم بها المربي سواءً كان أباً ، أو أماً ، أو معلماً ، أو معلمةً ، أو غيرهم ممن يساهم في عملية تنشئة الطفل ورعايته، إصلاح وحفظ، ورعاية ومتابعة واهتمام.

هذه المعاني تتضافر وتتكامل لتساهم في تحقيق : تربية صحيحة ومتوازنة، فالقضية ليست عملاً سهلاً وإنما هناك عمل معقد، قضية تنمية الطفل ورعايته وتطوير قدراته تتطلب أموراً كثيرة.

١. الأصل الأول لكلمة " تربية " ← ← ← رَبَا : يربو بمعنى : نما و زاد.

حتى نساعد هذا الطفل على أن ينمو بالطريقة الصحيحة لابد لنا أن نكتشف هذا الطفل، أن نتعرف على خصائصه :
وتقدم مقررات علم النفس تحليل لعلم النفس التربوي، وأعتقد أنه سبق أن درستم في أحد الفصول السابقة معلومات جيدة عن خصائص المتعلمين، فالطفل في المرحلة الابتدائية المبكرة (الصفوف الأولية) هؤلاء الأطفال لهم سمات مشتركة وخصائص مشتركة مرتبطة بالسن التي يمرون فيها تختلف عن المراحل العليا، وللمرحلة المتوسطة أيضاً خصائص مشتركة بين طلاب هذه المرحلة في الغالب الأعم تختلف عن طلاب المرحلة الثانوية، وللذكور صفات وخصائص وسمات تختلف عن الإناث، ولابد أن يتحقق في المربي المرونة الكافية التي تجعله يتعامل حسب الموقف، حسب السن، حسب المرحلة، بل القضية أعقد من هذا، وهي تستحق الإهتمام لأنها تتعلق بإعداد الإنسان وتربية الإنسان وتنمية الإنسان.

كلنا درسنا في الصفوف الدراسية، نجد أن **الأطفال** مثلا في الصف الرابع **وإن كانت تجمعهم خصائص مشتركة إلا أن كل طفل هو عالم بذاته،** فيجب على المربي أن يتعامل معهم وفق معرفة بذلك، وهنا نؤكد على أهمية أن يعرف المربي طباع ومواهب وقدرات وشخصيات تلاميذه، وأولى منه الأب والأم الذين يجب عليهم أن يكتشفوا ويتعرفوا على السمات الشخصية لأبنائهم وبناتهم ويتعاملون وفقاً لذلك فما يصلح لهذا من أسلوب قد لا يصلح لذاك ، وما عند هذا من مواهب وقدرات ليس بالضرورة أن تكون عند الآخر، وكثيراً من الأخطاء التربوية التي ترتكب في الواقع نجد أنها نتيجة لعدم فهم الفروق الفردية بين الأطفال، بين الأبناء، بين التلاميذ، فنطلب من "زيدٍ" أن يكون نسخة من "عمرو" ولماذا هو أستطاع أن يفعل كذا وأنت لم تستطع أن تفعل كذا، كم هي حالات الإحباطات التي نتجت عن مثل هذا السلوك الأعوج ! كثيراً من مظاهر الغيرة والحسد التي تظهر بين الأبناء تظهر بين التلاميذ والتلميذات نتيجة لبعض الأخطاء التي يقع فيها المربون، يريدون أن يضعون التلاميذ بمعيار ينظرون لهم بنفس المنظار وبنفس المقياس وأن يكونوا كشخصية واحدة، نعم نحن نسعى إلى وجود قاسم مشترك لكن لابد من مراعاة هذا الأمر بشكلٍ كبير. هذا ما يتعلق بالوصف الأول أو الأصل الأول لهذه الكلمة "ربا : يربو" وهو يعنى النماء والزيادة .

٢. الأصل الثاني لكلمة " تربية " ← ← ← رَبِــيَ : يَـرْبَـى بمعنى : نشأَ وترعرع

المعنى الثاني الذي هو : نشأ وترعرع يتحدث عن "البيئة" ، **البيئة أمر مهم جدًا لتربية الأبناء التربية الصحيحة،** فالرفاق- الأصدقاء- أبناء الجيران- الزملاء في المدرسة- الأقارب- هؤلاء يؤثرون في سلوك أبنائنا ويساهمون معنا في التربية، -أو ربما إذا أردنا أن نكون أكثر دقة- يلقون علينا مزيدًا من المسؤولية في تحمل تربية أبنائنا بالطريقة الصحيحة. فلا يمكن أن يعيش الطفل معزولا عن مجتمعه، الطفل كائن اجتماعي، الإنسان كائن اجتماعي بشكل عام، لابد أن يختلط بالناس ولابد أن يتأثر، ولا شك إن الأطفال يستفيدون كثيرا من اختلاطهم مع أقرانهم، لكن نحن نركز على جانب المحاذير، ربما يلتقط الطفل كلمة غير مناسبة أو سلوكاً معيناً، ينبغي أن ننتبه لهذه الأمور ونحاول أن نصلح الأخطاء في وقتها وبالأسلوب المناسب.

وإذا كتب الله سبحانه وتعالى للإنسان أن يعيش في بيئة معينة -وبالتأمل وبالنظر- يرى أن هذه البيئة تؤثر مؤثراتها السلبية عليه أكثر من المؤثرات الإيجابية فينبغي عليه أن يبحث له عن بيئة أخرى مهما كلفه الثمن، والبيئة لا شك أن أثرها حاسم ولنا مثل في هذا: قصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا ثم أراد أن يتوب، والقصة معروفة، الخلاصة أن

هذا العالم في آخر القصة بعد أن قتل الرجل مائة شخص قال له: إنك في أرض سوء -أو كما ورد في الحديث- فانطلق إلى أرض كذا وكذا فإن فيها أناس صالحون فاعبد الله معهم. هذه بيئة معززة للجريمة عند هذا الرجل، غير تربوية، أمره بأن ينتقل إلى مكان أخر فيها بيئة الصلاح والمعزز للقيم والصلاح، والحديث هذا يؤكد لنا أهمية البيئة في التأثير على سلوك الإنسان، وأعتقد أن هذه لا تحتاج إلى مزيد من الحديث عنها.

٣. **الأصل الثالث للتربية: ← ← ← ربَّـا ، يَـرُبُّ : بمعنى : الإصلاح**

عملية التربية هذه عملية جائز أن **تسمى ديناميكية أو متحركة** بشكل مستمر، فلابد للمربي من استمرار عملية الإصلاح والرعاية والتسديد وإصلاح الأخطاء والتوجيه نحو الأصوب، هذه عملية مستمرة ويترتب عليها أولا ضرورة التصاق المربي بمن يربيه، لا يمكن أن يربي أب ابنه وهو لا يجلس معه ولا يحادثه ولا يعرف نقاط الضعف حتى يصلحها أو الأخطاء حتى يصلحها ، إنما منعزلا مبتعد لا يمكن، أو أن المدرس أيضا يتعامل مثلا بأسلوب وبلغة غير مناسبة مع الطفل بما يجعل الطفل يحجم عن الحديث وعن الإفصاح والانطلاق معه.

من الأوصاف التي توصف بها العملية التعليمية أنها عملية اتصال، إرسال- واستقبال- ووسيلة- ورسالة، -فعملية الاتصال هذه- لابد أن يكون الاتصال مفتوح ليس الحقيقة من المربي أو المعلم فقط وإنما ينبغي أن يشرك تلاميذه أو يشرك أبناءه، يترك لهم الحرية في الحديث، يعبروا عن مشاعرهم، وهنا الطفل إذا أخذ يتحدث فإنما في عقله وفي ذهنه وفي قلبه من أشياء ومن أفكار ومن آراء لابد أن تظهر، وينبغي أن لا نحاسب، نترك الطفل يخرج كل ما عنده ثم نعطيه تعزيزات إيجابية أولاً في النواحي التي يصيب فيها، وفي النواحي السلبية ينبغي أن نشير إليه -بأن هذا غير مناسب ، ولو فعلت كذا كان أفضل من كذا، لو كنت تهتم بهذا كان أفضل-، اجعل الطفل شفافاً في تعامله معك وكن شفافاً في تعاملك معه حتى تكون الأمور واضحة، وكم من الآباء والأمهات يفاجئون بما يحصل عند أبناءهم من تصرفات ومن سلوكيات من أشياء يتفاجئون فيها ربما في الوقت الغير مناسب! نتيجة لعدم اكتمال دائرة الاتصال بالطريقة الصحيحة مع الأبناء، فلا يمكن أن تصلح أبناءك وأن ترعاهم وأن تتعرف على أخطائهم والنواحي الإيجابية ومواهبهم وقدرتهم إلا إذا كان هناك عملية اتصال مستمر. هذا ما يتعلق بالتربية بمفهوم عام.

لو أردنا أن ندخل إلى التربية الإسلامية بشكل دقيق ولعلي آتى عليها بشكل مجمل، ويمكن أن نفصل ونحلل هذا التعريف بعد -إن شاء الله تعالى- ما نعرض.

❖ تعريف التربية الإسلامية

هناك عدة تعريفات للتربية الإسلامية من ضمنها:

مجموعة التصرفات العملية والقولية المأخوذة من نصوص القرآن والسنة والاجتهاد في ضوئهما الذي يمارسها إنسان راشد بإرادته مع إنسان آخر، بهدف مساعدته في اكتمال جوانب نموه وتفتيح استعداداته وتوجيه قدراته وتنظيم طاقاته ليتمكن من ممارسة النشاطات والغايات التي يحددها الإسلام.

شرح التعريف / إذاً عملية التربية هي عملية تصرفات قوليه وعملية، يعني بالإشارة، بالقدوة، أو بالنصائح وبالتوجيهات، وأيضاً تكون منطلقة من تعاليم الإسلام ويمارسها إنسان راشد عاقل ناضج مع إنسان آخر، وفي الغالب أن يكون هذا إنساناً كبيرا مع الطفل أو أصغر منه ليساعده في اكتمال جوانب نموه وتفتيح استعداداته وطاقاته ليتمكن من ممارسة نشاطاته وغاياته التي حددها الإسلام.

الحلقة (٢)

في هذه المحاضرة نتحدث عن أهمية التربية الإسلامية، ولعلنا قبل أن نتحدث عن هذا الموضوع الهام نقدم له بـ "أهمية الحاجة للنظام".

❑ **حاجة الإنسان للنظام التربوي بشكل عام:**

الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وجعله محتاجاً للتربية ومفتقراً إليها، ومن العبارات الدقيقة والصحيحة " **أن الإنسان لا يمكن أن يكون صحيحاً متكاملاً إلا بالتربية** "، وبالتأمل في واقع العملية التربوية نجد أن من أبجدياتها أنها مسؤولية الوالدين الأب والأم، وقديماً كان هذا هو الممارس فكل أبٍ يربي أبناءه ويعلمهم وفق قيمه ومعتقداته ونظرته للحياة، وكل أم تربي بناتها على وفق نظرتها وفهمها لهذه الحياة، وبعد أن تطور النظام الاجتماعي وظهرت تنظيمات المدن وظهرت الوظائف التخصصية والوظائف الخدمية وظهر مفهوم التخصص في شتى مجالات الحياة ، برزت المؤسسة التربوية كمؤسسة تضطلع بدور حيوي في تربية الأفراد وفي رقي المجتمع، بل في رقي الأمم.

فالنظام التربوي، والنظام التعليمي، هو أكبر مؤشر على مستوى الأمة ومستوى المجتمع ومستوى الفرد، فهذه الحاجة - حاجة الإنسان للتربية - حاجة ماسة؛ لأنها ستبقى قدراته وستبقى مهاراته وسيبقى تفكيره ونظرته للحياة واستشرافه للمستقبل ستبقى كلها أمور محدودة إذا لم يكن هناك نظام تربوي يساهم في تفتيح العقل وإنارته وإكساب المهارات العقلية والوجدانية والتحكم بالمشاعر والانصياع للنظام العام، هذه كلها قضايا هي من **مسؤولية النظام التربوي.**

ويقاس نجاح النظام التربوي وفشله بقدرته على إكساب الأفراد هذه الأمور مجتمعةً، فليست التربية هي مجموعة من المعلومات تحقن في ذهن الطفل ويتجاوزها أو ينساها أو ما إلى ذلك، طبعاً الجانب المعرفي هو جانب مهم ومرتكز في العملية التربوية والعملية التعليمية بشكل عام، لكن هناك أمور أخرى يأتي في طليعتها قضية القيم والأخلاق وبناء العقيدة وسلامة التفكير وتنمية العقل المجرد وتحييزه عن الأهواء وما يتصل فيها، هذه كلها طبعاً هي مسؤولية **النظام التعليمي**.

وأيضاً بناء القدرات العقلية والقدرات المعرفية وحتى أيضاً القدرات الجسمية، **النظام التربوي** مسؤولاً عنها، والذوقية، والجمالية، والارتقاء بالجوانب الشخصية للفرد، هذه كلها **مسؤولية النظام التربوي.**

وطبعاً إذا ارتقينا إلى مستوى أعلى من هذا نجد أن بناء الإنسان الصالح قد يخدم ويساهم في تنمية مجتمعه وتطوير مجتمعه والقادر على بناء أسرة، تكوين أسرة تحمل مسؤولية، الإنسان الذي يكتسب مهارات معرفية، ومهاراتٍ مهنية متخصصة كالمهندس، كالطبيب، المتخصص مثلاً في الأمور التقنية أو غيرها **هذه كلها مسؤولية النظام التعليمي.**

- وكلما تعقدت حياة الناس كلما احتاجوا إلى تطوير المناهج الدراسية والمقررات الدراسية والمحتوى الدراسي، ويتبع ذلك تطوير المهارات وتطوير القيم وتطوير الاتجاهات وأيضا تطوير المعلومات التي تقدم للتلاميذ.

❑ **الفرق بين " التربية " و " التعليم "**

وفي هذا السياق نحن بحاجة إلى أن نوضح الفرق بين المصطلحين الشهيرين اللذين يجتمعان أحياناً ويفترقان أحياناً ويتناغمان أحياناً وهما : "مصطلح التربية" و "مصطلح التعليم" .

- "التربية" و "التعليم" من المصطلحات الشائعة وهي في صميم العملية التربوية والتعليمية،

فإذا أطلقنا كلمة التربية فيقصد بها في الأصل ⟸ هي بناء الإنسان فقط ، وإكسابه قيم ، وتنشئته على أخلاق وما إلى

ذلك . **والتعليم يقصد به** ⇐ الجانب المعرفي بدرجةٍ كبيرة.

لكن **حينما يطلق لفظ أحدهما "تربية فقط" فإنها تشمل التعليم، وحينما يطلق "التعليم" فإنه يشمل الجانب التربوي،** فلا خير في "تعليم" خالٍ من الأخلاق وخالٍ من القيم وخالٍ من تعزيز الإيمان وخالٍ من إكساب الاتجاهات والقيم ومراعاة المشاعر الإيجابية لا خير فيه إذا كان خالٍ من هذه الأمور، وكذلك "التربية" إذا كانت التربية منفصلةٍ عن العلم الحقيقي وعن المعرفة المنبثقة من النصوص الشرعية كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وغيرها من العلوم التي تساهم في بناء شخصية الإنسان وتؤثر في سلوكه، الجانب المعرفي المعلومات التي نتلقاها من وسائل المعرفة المتعددة والمتنوعة هي تتعامل في مشاعرنا وأيضاً تترجم مع كثرة ترددادها ، وتترجم إلى معاني وإلى مؤثرات في سلوكنا، وفي شخصياتنا، هذا هو الفرق بين التربية والتعليم.

في حديثنا عن مفهوم التربية، هناك مصطلحين هامين نحتاج إلى أن نقف عندهما شيئاً حتى يتضح مفهومهما وحتى نميز بينهما وأهمية كل واحدٍ منهما عن الأخر.

هناك مصطلح "**التربية الوقائية**" وفي مقابلها من الطبيعي جداً "**التربية العلاجية**"،

❑ **التربية الوقائية**

هي: العمل العام الذي يقوم به الآباء والأمهات في تنمية أبناءهم وتوجيههم وإكسابهم القيم الإيجابية و قضية تحصينهم ورفع درجة المناعة عندهم ضد الأشياء السلبية والمؤثرات السلبية التي قد يتعرضون لها وتؤثر سلباً في حياتهم.

وطبعاً نحن كمربين نركز على هذا الجانب بدرجةٍ كبيرة، قضية البناء الذي هو الوقاية. الوقاية هي عملية بنائية تعني إعطاء الطفل وإعطاء المتعلم كمًّا كبيراً مما يحتاج إليه في رفع درجة المناعة ضد الانحراف، ضد الفساد، ضد المؤثرات السلبية، ضد أصدقاء السوء، نقصد العوامل التي قد يتعرض لها الطفل في مجتمعه وفي حياته بشكلٍ عام.

وينبغي أن يكون ٧٠٪ أو ٨٠ ٪ من عمل المربي هو يصب في إطار التربية الوقائية؛ لأن الوقاية خيرٌ من العلاج، والوقاية أسهل من العلاج، والوقاية أهم من العلاج، العلاج أحيانا تظهر أمراض يصعب معالجتها؛

- **فنقصد بـ "التربية الوقائية" هي إعطاء الطفل والاتصال معه عن طريق وجود قدوة له،**

فالمعلم قدوة لتلاميذه كما الأب قدوة لأبنائه، وكذلك الأمهات والمعلمات هن قدوة.

والطفل يكتسب كثيراً من المؤثرات التربوية ومن التأثير التربوي من خلال ما يراه من سلوك وما يراه من ممارسة في مجتمع الكبار الذين يقومون بتربيته أو يعيشون معه في نفس البيئة التي يوجد بها، فطبعاً في هذا الوقت الذي أصبحت السيطرة على وسائل التأثير على الأبناء والأمهات وخاصة في المجتمعات الكبيرة والمدن والمدارس وتأثير وسائل الإعلام إلى غيرها زادت أهمية التربية الوقائية، فنحن بحاجة باستمرار إلى أن نتأمل هذه البيئة وما فيها من مؤثرات ونتأمل أبناءنا وما يحتاجونه ونقدم لهم الشيء المفيد والنافع من معلومات ومن قصص ومن حكايات، يعني مثلا: عن سير الأنبياء والمرسلين والصحابة رضوان الله عليهم، هذه كلها تساهم في الجانب الوقائي؛ لأنه إذا تركنا هذا الجانب فارغاً فإن هناك المؤثرات السلبية التي قد تملأ أو تأتي لتسد هذا الفراغ بطريقة سلبية. وما نراه في كثيرٍ من الأحوال وما نسمع عنه من تأثر كثيراً من الشباب والشابات ببعض مشاهير ما يسمى بالفن أو غيرها نتيجة لنقص التربية الوقائية، يعني أيُّ خلل في التربية الوقائية يحتاج إلى تكلفة عالية في المعالجة،

وعمل المربي هنا، حتى المصطلحات يمكن مأخوذة من ما يقوم به الأطباء أو الجهات المعنية بالصحة في وقاية الناس من الأمراض عن طريق التحصين عن طريق التوعية عن طريق تبصير الناس ودلالتهم على ما يحتاجونه، هذا أهم

بكثير وأكثر اقتصادية من عملية المعالجة. وهنا نركز -كما ذكرت قبل قليل- في هذا الزمن نحن بحاجة ماسة لتعزيز النظام الوقائي ورفع مستوى الحماية لأبنائنا ووضع جدار قوي ومنيع ورفع درجة المناعة عندهم تجاه المؤثرات الأخرى خاصة في عصر العولمة والانفتاح.

❑ **التربية العلاجية:**

قد يجتهد المربي أو قد يقصر، فتظهر هناك مشكلات، قد تكون سلوكية وقد تكون لفظية وقد تكون فكرية عند التلاميذ وعند التلميذات، وهنا تظهر الحاجة الماسة للعلاج، والعلاج يختلف عن الوقاية. الوقاية تكون إجراء عام له عموميته كالغذاء الذي يقدم للإنسان، أما الجانب العلاجي فهو كحبات الدواء المركزة التي تركز على جانبٍ معين طبعاً مع استمرار الجانب الوقائي، فالوقاية ينبغي أن تكون عملية أيضاً مصاحبة لعملية العلاج لكن نركز على الأخطاء التي نكتشفها والأشياء والتصرفات السلبية التي قد تظهر عند الأطفال أو عند الشباب والشابات.

والمعالِج ينبغي أن يكون حكيماً، حكيماً في تعامله مع المشكلات التربوية، ينبغي أن يكون صبوراً، فالإنسان الذي يحتاج إلى العلاج هو الآن أصبح في مرحلة ضعف، والإنسان لما يكون في مرحلة ضعف قدرته على التحمل وعلى ضبط مشاعره وعلى ضبط تصرفاته وضبط سلوكه تكون عملية أكثر خطورة وأشد تعقيداً،

- **فالمقصود بالتربية العلاجية: هي استكشاف الأخطاء الموجودة والثغرات.**

وهنا حقيقة تولّد مفهوم قضية "**التقويم التربوي**"، تقويم محصلات التربية، ينبغي أن نتأمل في أولادنا بما يظهر عليهم من تصرفات، من سلوك، من رغبةٍ في لباس ملابسٍ معينة، يعني قبل أن تتحول إلى سلوكٍ واقع ينبغي أن نعالجها وهي في مراحلها المبكرة، فلا بد من استخدام أسلوب الحكمة والنظر بتؤدة وبتمعن حتى تتم عملية المعالجة بالطريقة الصحيحة. و التربية العلاجية لا يستطيع أن يقوم بها أي فرد، لابد من تدريب، لابد من ممارسة.

القضايا المهمة أثناء معالجة بعض الأخطاء:

١. **ينبغي أن نتقبل الطفل أو التلميذ بواقعه كما هو،** لا أن نظهر له مظاهر الاشمئزاز أو نسبه أو نشتمه أو نعيبه وإنما نحيي فيه الجوانب الخيّرة، يعني نعزز الجوانب الإيجابية، نستخدم معه أسلوب إطفاء الجوانب السلبية دون استثارتها أو استفزازها، نقد السلوك الخطأ دون نقد الشخص، "هذا سلوك لا يليق بك وأنت رجل مهذب ! " مثل هذه الكلمات ومثل هذه العبارات تساهم في تحقيق التربية العلاجية الصحيحة إن شاء الله تعالى.

٢. في الجانب الصحي الجسمي والنفسي **كل ما كان العلاج مبكراً كل ما كان أنجح** ،كذلك أيضا في النواحي التربوية كل ما كان اكتشاف الأخطاء واكتشاف الخلل واكتشاف الانحراف مبكر كل ما كان ذلك معيناً أكثر على نجاح العملية التربوية.

أيضاً في هذا المضمار الحديث عن أهمية التربية الإسلامية، يعني **العملية التربوية بشكل كامل هي عملية تُعنى بالإنسان من جانبين سواء كانت وقائية أو كانت علاجية**

يجب أن ننظر للتربية على أنها عملية " نمو فردي " تنمية فرد، كما ينبغي أن ننظر إليها من زاوية أخرى بأنها عملية "نموٍ اجتماعي". أعود إلى هذين المصطلحين لكي أوضحهما بصورة أكثر شمولية.

❑ **التربية عملية نمو فردي**

يعني أنها تركّز على قضية الفرد وبناءه وتطوير قدراته واكتشاف مواهبه واستعداداته، يعني توجيهه وفق ما خلقه الله سبحانه وتعالى مستعداً له، فالطفل خلقه الله سبحانه وتعالى مستعداً هذا مثلا لجوانب معرفية أو علمية وهناك لجوانب

مثلاً عسكرية أو ما إلى ذلك، فالناس يختلفون في مثل هذه الأمور، فينبغي أن نركز على تنمية الفرد وفق ما خلقه الله سبحانه وتعالى، وهذا طبعاً يؤكد لنا أهمية اكتشاف شخصية الطفل قبل أن نتعامل معه بطريقة صحيحة، ولكي تكون القضية واضحة أعطي مثل على وضوح هذه النقطة وأهميتها:

على سبيل المثال : الإنسان حينما يشتري جهاز حاسب آلي أو كمبيوتر أو سيارة أو غيرها من الأجهزة، فالإنسان العاقل الحصيف هو الذي يحرص على التعرف على دليل الاستخدام، ودليل المستخدم، وكيف يتعامل مع هذا الجهاز بطريقة صحيحة، وما هي المحاذير وما إلى ذلك، هذا موجود مع الأجهزة ومع الأدوات، لكن الإنسان لا يخرج من بطن أمه ومعه دليل كيفية التعامل معه وإنما مسؤولية الوالدين اكتشاف هذه المواهب. وسنتحدث بشيء من التفصيل عن النمو الفردي والنمو الاجتماعي في المحاضرة التالية.

الحلقة (٣)

سبق في نهاية المحاضرة الماضية الحديث عن مفهوم "**التربية عملية نمو فردي**" - والتربية أيضا هي عملية نمو اجتماعي - وأشرنا إلى مهمة المربي، وبدرجة كبيرة الأب والأم والمعلمين والمعلمات، اكتشاف مواهب الأبناء، وهي تأتي بطرق كثيرة، لعل الأساليب غير المباشرة أكثر جدوى من الأساليب المباشرة في كشف هذه الخصائص، مراقبة الأطفال أثناء اللعب، سلوكهم الجماعي تعرف أن هذا يميل مثلا إلى القيادة، يميل يكون قائد، وهذا يميل أن يعمل بمفرده، وهذا يميل إلى الترتيب والتحليل والتركيب، وهذا تظهر عنده الجوانب اللفظية والحديث والقصص والمزح، هذه من الوسائل المعينة لنا.

كذلك مراقبة الأطفال في سلوكهم العام، وهنا تأتي أهمية التعلم التعاوني، وهي من الأساليب الحديثة بدأت تأخذ مساحة وحجماً واسعاً في المؤسسات التعليمية، توزيع الطلاب على شكل مجموعات وجعلهم يقومون بأعمال جماعية يتعاونون فيها وبتوجيه المعلم أو المعلمة وبإشرافهم ومراقبة سلوك أعضاء الفريق، وهنا سيظهر الطفل الانطوائي، والاجتماعي، والفاعل، والمتردد، والجريء، سوف تظهر هذه الخصال وهذه الصفات من خلال العمل الجماعي الذي يشتركون فيه.

-كما أشرت- هي مهمتنا بدرجة كبيرة أن نوجه الأطفال وفق رغباتهم ووفق ميولهم ووفق استعداداتهم التي خلقهم الله سبحانه وتعالى عليها، فنحن هنا معين لهم، وهنا نشبّه عمل المربي تشبيهاً دقيقاً بعمل المزارع الذي عنده حقل مليء بالأشجار، يعطي كل شجرةٍ ما تحتاجه من ماء وسماد وتهوية وغيرها من الشروط اللازمة لحياة هذه الأشجار، والله سبحانه وتعالى هو الذي ينميها،كذلك نحن هنا دور المربي هو عبارة عن إعطاء الطفل أو التلميذ مواقف ومعلومات وقدوة وتأثير سلوكي وجعله ينمو وفق ما خلقه الله سبحانه وتعالى له، لكن عملية النمو يجب أن تكون عملية نمو صحيحة، بمعنى كما أن المزارع يحتاج أن يقلّم بعض الأشجار ولمصلحتها عملية التقليم والتهذيب والتوجيه وإزالة ما هو ضار منها كالأشواك أو غيرها، كذلك قد تظهر عوارض سلبية عند بعض الأطفال ربما أنانية، ربما استئثار، يعني طمع في حقوق الآخرين أو ما إلى ذلك، فدور المربي هنا أن يحدد ويوضح ويبين ويتدخل في وقف الأخطاء التي قد تحصل من بعض الأطفال، كما يقلّم المزارع شجرته المربي أيضاً يهذب أخلاق وسلوك تلاميذه.

- **التربية عملية نمو اجتماعي**

نقصد بها أن الطفل ينبغي أن لا يعيش في عالم مستقلاً به، بل لابد أن يكون مؤدياً لدورٍ اجتماعي في مجتمعه، وهذا

يحتم عليه أن يضحي أحياناً ببعض رغباته كفرد في سبيل مصلحة المجتمع، سواءً كان أسرة أو زملاءه في صف دراسي، أو أقارب أو غيرهم، فلابد أن يكون فردًا فاعلاً في مجتمعه الذي يعيش فيه، ويؤدي دوره الاجتماعي بالطريقة الصحيحة. وهنا ننظر إلى المجتمع كبِناء، والأفراد كـ لبِنات في هذا البناء، فكل لبِنةً تقوم بدورها وتسد ثغرةً في جدار وفي بناء المجتمع، ولكن ينبغي أن نراعي التوازن بين الجانب الفردي وبين الجانب الاجتماعي،

وفي الحديث: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر) فالتشبيه هنا جزئي، (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم) في التواد والتراحم نكون جدار واحد، لكن لا يعني أنه كما فعلت الشيوعية التي خالفت الفطرة حطَّمت الفرد وجعلته عبارة عن قطعة من الطوب في بناء المجتمع، نعم لابد أن يضغط الفرد على التواد والتراحم، يُربى على هذا الشيء، وكل القيم وبالذات القيم الأخلاقية والأخلاق عموماً موضوعها هي العلاقة بين أبناء المجتمع الواحد، وهنا أيضاً هذه مرتبطة بمواطن الحديث (في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم)، إذن في الجوانب الأخلاقية لابد أن يروّض الطفل لكي يتنازل ويقدم واجباً اجتماعياً، فلا يمكن تصور أفراد متنافرين لا يشكلون مجتمعاً، ولا خير أيضاً في مجتمعٍ أفراده يعيشون حالة تنافر

وقوة المجتمع تقاس بعدة أمور من أهمها بل على رأسها تأتي **درجة التماسك الاجتماعي بين أفراد المجتمع**، حتى لو كان مجتمعاً صغيراً لكن أفراده متماسكين هذا يعطينا انطباع أن هذا المجتمع مجتمع قوي، فإذن هذه تربية إسلامية تراعي الفرد وتراعي المجتمع، فالفرد له حقوقه التي ينبغي أن يحترمها المجتمع، والمجتمع واجباته التي يجب أن يؤديها الأفراد يعني أعضاء في هذا الجسد الاجتماعي.

- بعد الانتهاء من هذه المفاهيم الهامة والمرتبطة بقضية التربية "الجانب الوقائي والجانب العلاجي" و "القضية الفردية والاجتماعية" ، أعتقد أنه من المناسب أن نتحدث بشكل مركز عن أهمية التربية الإسلامية يعني على قيم الإسلام، الآن حيث كان يميل إلى جانب العمومية، وإن كان ليس منفصلا عن التربية الإسلامية لكن الآن ندخل في جانب التربية الإسلامية بشكلٍ واضحٍ وصريح.

❖ أهمية التربية الإسلامية

الإسلام أتى ليهذب النفوس، **الشريعة الإسلامية** حفظت حقوق الناس وحقوق الأفراد وحقوق المجتمعات وحقوق النظام الاجتماعي الإسلامي بشكل عام، فالله سبحانه وتعالى بعث الرسول صلى الله عليه وسلم معلماً لنا وهادياً وبشيراً، وهذه كلها قيم تربوية هامة، والرسول صلى الله عليه وسلم هو إمام المربين وهو إمام المعلمين، فسيرته صلى الله عليه وسلم مع صحابته مليئة بالمواقف والمبادئ التربوية الهامة، لعلنا نقف على بعض الجوانب المتعلقة بتأثير التربية الإسلامية على سلوك الطفل وعلى شخصية الطفل، وخاصة في هذا الوقت الذي أحوج ما نكون فيه إلى تحصين أبنائنا وبناتنا بالقيم الإسلامية، وننشئهم التنشئة الإسلامية الصحيحة، ونربيهم التربية الإسلامية الحقة.

❑ الجوانب المتعلقة بتأثير التربية الإسلامية على سلوك الطفل:

١. التربية على حفظ القرآن الكريم

فتعليم الناشئة القرآن الكريم دراسةً ، وحفظاً ، وشرحاً ، وتفسيراً ، وبيانًا للمعاني ، وبياناً لأسباب النزول وما في هذه الآيات التي يدرسها التلميذ من قصصٍ وعبرٍ وتوجيهاتٍ، وإشعاره أن هذا القرآن إنما أنزله الله سبحانه وتعالى رحمةً بنا لكي نحيا كما أمرنا الله سبحانه وتعالى في هذا القرآن وكما أمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم في سنته، فهذا يساعد على تشرب الناشئة وأن يعيشوا حياة القرآن ويعيشوا مع القرآن، وإن شاء الله تعالى تدركهم بركة تلاوته وأجر تلاوته

وتعلمه وتعليمه.

ومن المعاني التربوية الهامة في هذا الجانب، ليست قضية مادة ومعلومة وأشياء تحفظ، وإن كانت هذه أيضاً على جانب كبير من الأهمية، لكن أيضاً البيئة، يعني حفظ الأطفال في وقت فراغهم يجلسون يتدارسون القرآن، وفي الغالب يكون هذا في المسجد أو في مكان تعليم، وتحت إشراف معلم من صفاته الصلاح والاستقامة، هذه تشكل بيئة مساعدة للصلاح ولملء الفراغ بما هو صحيح،

بل إن كثيراً من الدراسات التربوية أثبتت تأثير حفظ القرآن على اكتساب المهارات المعرفية العامة سواءً الطلاقة اللفظية، وسلامة النطق، وترتيب التفكير، وحتى المهارات الرياضية يكون لحفظ القرآن تأثير عليها، ففيها تنشيط للذهن وتنشيط للفكر، كما أشرت هناك دراسات تربوية معاصرة أثبتت هذا الجانب وليس هذا المجال خفي لكنها أثبتت وجود علاقة ارتباطية بين حفظ القرآن الكريم وبين هذه الجوانب، القدرات الرياضية، والطلاقة اللفظية، وحسن المنطق، وسلامة اللسان، هذه كلها من المهارات التي يسعى المربي لإكسابها لأبنائه وأيضاً هي سلاح للإنسان في حياته.

٢. الجانب الأخلاقي والقيمي

التربية الإسلامية الصحيحة هي منطلقة أساساً من توجيهات الرسول صلى الله عليه وسلم، ومما يستنبط من أحكام ومن فوائد القرآن الكريم و من السنة النبوية، ولو تأملنا في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وفي كيفية تعامله مع الأطفال لوجدنا أن تعامله تعاملاً راقياً مهذباً ! كيف كان يتعامل مثلا مع أنس بن مالك وهو خادمه لم يزجره، لم يعنفه، لم يعاقبه، وكيف كان يتعامل مع الحسن والحسين وغيرهم من الأطفال في مواقف كثيرة،كيف كان الرسول صلى الله عليه وسلم يُكسب هذه الأخلاق، إكساب الأخلاق هذه يكون باللطف وليس بالزجر وليس بالضرب

بل حتى الكبار، الصحابي الذي عطس في صلاته فحمد الله وكأن الصحابة أشاروا إليه بالسكوت، فالحاصل من الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الصلاة أنه قال: (إن هذه الصلاة لا يصح فيها شيء من كلام البشر)، يعني بالتعليم الواضح الصريح الهادئ، مما جعل هذا الصحابي يتعلق بالرسول صلى الله عليه وسلم، بل أشد من هذا الرجل الذي نتيجة لجهله وعدم معرفته قام في زاوية المسجد وقضى حاجته، يعني ليس هناك في منظورنا القاصر أحد يضع النجاسة مثلاً في هذا المكان الطاهر مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ! ومع هذا كانت المواقف التربوية أعلى من ردة الفعل التي تستقذر أو تُعاتب على هذا الأمر، وإنما موقف التعليم، غرس الأخلاق، الأخلاق تحتاج إلى جو هادئ

لكي نكسب تلاميذنا وأبناءنا الأخلاق الصحيحة الإسلامية ونغير مجرى حياتهم يكون بالأسلوب الهادئ، بالأسلوب اللين المحبب إلى النفوس.

٣. تعاهد العقيدة الصحيحة وغرسها في نفوس الناشئة

فالله سبحانه وتعالى قد خلقنا جميعاً على الفطرة، فطرة الإسلام، فدور المربي أن ينمي هذه العقيدة وأن يحفظها، كما ورد في الحديث: (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجّسانه) معناه: يولد على الإسلام، فدورنا ليس حرفاً له إلى دينٍ آخر - نقل له من هذه المنطقة إلى منطقة أخرى- وإنما المحافظة عليه ليبقى في هذه المنطقة، ليبقى على فطرته التي هي فطرة الإسلام

وهذا طبعاً يحتاج من المربي أن يعطي التلميذ ويعطي الطفل كل ما يحتاج إليه في كل مرحلة من المراحل، وأن يراعي قدراته، ويراعي طاقاته ولا يعنفه، ويزرع في وقت الزرع، لكي يحصد وقت الحصاد، يعني كثير من الأخطاء الشائعة عند كثير من الآباء والأمهات أنهم يكونون في حالة انشغال عن أبناءهم وقت الزرع، وإذا وصل مرحلة البلوغ بدأت تظهر

المشكلات، يريدون أن يزرعوا، لا! قبل سنوات حينما كان الوقت المناسب، حينما كان الطفل يستجدي والده ، ولا يسمعه ! ولا يتحدث معه ! يستجديه الطفل ويطلب منه أن يعلمه ، أن يقصّ عليه ، أن يحكي له ، أن يتحدث معه ، والأب غير متفرغ لهذا الأمر ! والأم كذلك ! وأيضاً المعلمين ! ربما الأطفال الصغار يلعبون ألعاب أو ما إلى ذلك دون أن يقوم بالواجب بالطريقة الصحيحة في رعاية عقيدتهم وإكسابهم الأخلاق وإكسابهم القيم الإيجابية حتى ينشؤوا عليها، هذا الجانب مهم جدا.

ولا شك أن العقيدة الإيمان بالله سبحانه وتعالى وأنه هو الخالق المدبر لهذا الكون، ونحن نتشرف بأن نكون عبيده، وهذا يلقي في عقل الطفل وفي وجدانه وفي مشاعره الافتخار بهذا، والشعور بالأمان وأن الله ناصر له ومعين له، **والإيمان بالملائكة** وأن الله سبحانه وتعالى خلقهم وكرمهم، وأن هناك ملائكة مكلفون بكثير من الأعمال التي خلقهم الله سبحانه وتعالى لها، بما في ذلك كل إنسان عليه أربعة ملائكة، ملكان في الليل وملكان في النهار ، عن اليمين وعن الشمال، هذا أيضاً يساعد أو يساهم بدرجة كبيرة في تربية وتنمية الطفل بطريقة صحيحة، الرقابة الذاتية وحتى يصل إلى درجة الإحسان، وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

٤. **العبادات، وعلى رأسها الصلاة**

فالصلاة هي كلها عبادة، ابتداء من التطهر والاستعداد للصلاة ثم أداءها والقراءة فيها والركوع والاختلاء بالله والاتصال به سبحانه وتعالى، هذه كلها عمل تربوي هام يساهم في حفظ الإنسان، ولا أدل على ذلك من أن هذه الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر

وكذلك الصوم، الصوم مدرسة تربوية، الحج مدرسة تربوية اجتماعية من نوع فريد ومتميز، الزكاة أيضاً عملية تربية للنفوس، هذا المغناطيس الذي جعله موجود في نفوسنا لنتعلق بالمال، يعني فيه تربية للنفوس على أنه أنت لما تعطي مجبر وتجد أن العملية دائرة هناك شيئاً يخرج وهنا شيئاً يدخل، وهناك بركة، هذا مما يساعد النفوس على العطاء وعلى التواصل الاجتماعي وعلى إفادة الآخرين.

الحلقة (٤)

❑ الفصل الثاني : مبادئ التربية الإسلامية

في هذه المحاضرة نبدأ بالحديث عن أهم مبادئ التربية الإسلامية، التربية الإسلامية لها مبادؤها ولها غاياتها ولها وسائلها التي تمتاز وتختص بها، وقد تشترك في بعض الجزئيات مع بعض أنواع التربيات الأخرى.

والمقصود بالمبادئ: هي المنطلقات التي تنطلق منها -أو تبدأ منها- التربية الإسلامية.

❑ **سمات هذه المبادئ:**

١. **انطلاقها من مصادر التشريع الإسلامي،** القرآن الكريم وشروحه وتفسيره، وأيضا السنة النبوية، والاجتهاد وآراء وأقوال العلماء من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان.

٢. **أنها تتسم بالثبات والاستقرار،** وأن التطبيقات والاجتهادات التربوية تنطلق وتأخذ في الاعتبار هذه المنطلقات الأساسية.

❖ **المبدأ الأول من مبادئ التربية الإسلامية / مبدأ التعلم**

من أهم هذه المنطلقات (المبادئ) وعلى رأسها: مبدأ التعلم.

- **ويقصد به ⟸ نوع من السلوك الإنساني من خلاله يقوم الإنسان بتحصيل العلم والمعرفة.**

لا شك أن التعلم والاستزادة من العلم والمعرفة هي وسيلة إيجابية ومطلب شرعي، كما أن الله سبحانه وتعالى قد هيأ الإنسان من صغره للعلم، وجعل الاستعداد له مغروسا في النفس الإنسانية، سواء من ناحية ما أودعه الله سبحانه وتعالى في الإنسان وميّزه عن غيره من الكائنات والمخلوقات، أومن خلال ما امتن الله به على عباده من نزول الوحي (القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية)، هذه مصادر أساسية للمعرفة.

والعقل له مكانته وله أهميته في استيعاب وفهم النصوص الشرعية، واستنباط الدلالات والأحكام والمعلومات والمعارف منها. وأيضا هناك جانب للعقل في الاجتهاد، ومقايسة الأمور على نظائرها وعلى أشباهها، واستنباط أشياء جديدة ومعلومات جديدة وتوليد معرفة.

وقد هيأ الله سبحانه وتعالى للإنسان وسائل تلقي العلم والمعرفة وهي: السمع، والبصر، والفؤاد -الذي به يعقل الإنسان ويتأمل-، وسائر الحواس، هي وسائل وأدوات اكتساب المعرفة.

❑ **لماذا التعلم ضرورة أو فريضة شرعية ؟**

① **أولاً: لاكتساب المعرفة الشرعية الضرورية**

لما يترتب عليه من تغير في الإنسان، يقوم باستمرار الإنسان على فطرته السليمة، ويساهم في اكتشاف طاقات الإنسان وقدراته، ويكسبه المعرفة الشرعية الضرورية ابتداء من : معرفة أصول الدين والعقيدة والقيم والأخلاق. وهذه لا يمكن أن يكتسبها الإنسان إلا من خلال: "**التعلم والتلقي**" سواء كانت أفكارا أو آراء أو معلومات ناتجة عن خبرات الأمم السابقة. وقبل ذلك وأهم منه "**العقيدة**" ومعرفة الله سبحانه وتعالى، والإيمان به ومعرفة رسله والإيمان بهم والاعتقاد الصحيح بأنهم رسل وأنبياء، أرسلهم الله سبحانه وتعالى لهداية خلقه، وخاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم، والإيمان بالكتب المنزلة والإيمان بالغيب والإيمان بالبعث والنشور والجزاء والحساب يوم القيامة واليوم الآخر، هذه كلها لا شك أنها لا يمكن أن يدركها ويعرفها الإنسان إلا من خلال قيامه بعملية "**تعلم**" متوازنة ومتكاملة.

فالتعلم في حقيقته هو نوع من النشاط الإنساني بمفهومه الواسع، ولا شك أن هذا النشاط -الذي هو التعلم- الذي يقوم به الفرد لاكتساب المعلومات والمعارف والمهارات إنما يشكل منطلقا لكثير من الأنشطة التي يقوم بها الإنسان بعد ذلك، وما تحقق للبشرية من تراكم معرفي وما حصل لها من تقدم علمي تقني إلا بفضله سبحانه وتعالى ثم بهذه الميزة وهذه الخصيصة.

وكما أشرت لعل يأتي على رأس ذلك : تعلم ما يحتاج إليه الإنسان في دنياه وأخراه من "**معرفة الأحكام الشرعية**" وما له من حقوق وما عليه من واجبات، وما ينظم علاقته بخالقه من خلال الاستجابة لأوامر الله سبحانه وتعالى التي فرضها عليه، وأيضا ما يحكم علاقة الإنسان بمجتمعه وبأسرته وبجيرانه وبزملائه وأصدقائه وبعلاقته بالآخرين كافة حتى لو لم يكونوا مسلمين، بل حتى الكائنات الأخرى، هذه العلاقة منظمة ومرتبة، و"**العلم الشرعي الصحيح**" هو الذي يحكم ويرتب هذه العلاقة، بحيث أن الإنسان المسلم ينطلق في تصرفاته وفي سلوكه تجاه الآخرين وتجاه الأمور الأخرى انطلاقا من هذه المعرفة.

- **فالتعلم إنما هو فريضة شرعية** – لما سبق ذكره- من :ترتب تعلم العقيدة، وتعلم الشريعة والأحكام الشرعية عليه، وفهم القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، واستيعاب الدروس من التاريخ ومن الخبرات

البشرية الأخرى. هذه كلها تؤكد الفرضية الشرعية لعملية التعلم.

ولذلك نجد أن أول آية نزلت على الرسول صلى الله عليه وسلم هي دعوته وأمره هو وأمته من بعده بالتعلم والقراءة، فأول آية نزلت على الرسول صلى الله عليه وسلم -كما هو معروف ومشهور - هي **{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}** وعملية القراءة هي مفتاح التعلم.

وأصل كلمة (قرأ) في اللغة: جَمْع. **وفي الاصطلاح**: تحويل الكتابة أو ترجمتها إلى صوت مسموع سواء للآخرين أو للقارئ نفسه. **وسميت القراءة** "قراءة"؛ لأنها تتكون من حروف تجتمع مع بعضها في شكل كلمات ثم في جمل ثم في عبارات أو مقاطع وما إلى ذلك من تقسيمات الكلام.

⇐ {**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}** فأولاً القراءة والتعلم.

نأخذ فائدة من هذه الآية: أن القراءة ينبغي أن تكون مرتبطة بأوامر الله، فإذا أردنا أن نقرأ، نقرأ "باسم الله الرحمن الرحيم"، وهذا ينبني عليه أن لا نقرأ إلا ما هو مطلوب وجائز شرعا، فما لا يجوز لا نقرأه، وليست القراءة على إطلاقها محببة أو مطلوبة، وإنما القراءة وسيلة مرتبطة بالمادة المقروءة.

⇐ **{ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ}** فيها أيضا إطلاق وانطلاقة للعلوم الطبيعية بما فيها علوم الحياة والفيزياء والكيمياء، هذه كلها مجال لعمل الإنسان، وأيضا لو تأملناها كثيرا في ما فيها من تسخير، وما فيها من عظمة، وما فيها من دقة، وما فيها من إعجاز، تتطلب التأمل وتتطلب إعادة النظر. وما تحقق للبشرية من تقدم علمي في كثير من مجالات الطب والغذاء والصحة والهندسة وغيرها إلا من خلال التأمل واكتشاف السنن والقوانين التي أودعها الله سبحانه وتعالى في هذه الحياة، وتولدت من ذلك هذه العلوم.

⇐ {**اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ**} (أكرم) تكرم علينا، ومن أكثر مجالات كرمه علينا هذا العقل وهذه الحواس التي هي أدوات التعلم.

② **ثانيـــــاً: لأن الإيمان مبني على المعرفة**

ومما يؤكد فرضية التعلم : أن الإيمان مبني على المعرفة، الإيمان الحق الصحيح المطلوب شرعا مرتبط بالمعرفة، ولو تأملنا كثير من الآيات لوجدناها تدعو وتحث على النظر في هذا الكون، نجد فيها دعوة لإعمال الفكر،

ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: **{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ** } الألباب: جمع لب، واللب هو العقل. **{الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}** تقلب الليل والنهار، وانبساط الأرض، واستدارة السماء من فوقها بشكل محكم ودقيق وما فيها كواكب وما فيها من نجوم وبحار وأشجار وأنهار، هذه كلها من حكم خلقها وإيجادها: النظر والتفكر، النظر الإيماني الذي لا يملك معه الناظر إلا أن يتأملها ويتعرف على أسرار صنعها ثم يقول: لا إله إلا الله، سبحان من خلق هذا، هذا هو الإيمان المتعمق.

وكلما زاد الإنسان علما واكتشافا لأسرار هذا الكون، كلما زاد إيمانا، إذا كان عنده المنطلقات الشرعية الصحيحة، وعنده أصول الإيمان وقد هداه الله سبحانه وتعالى لها.

③ **ثالثـــــاً: لفهم القرآن الكريم وتدبر معانيه**

لأن دستور هذه الأمة القرآن الكريم، والقرآن الكريم لا يمكن أن نفهمه ونعرف أسراره إلا بالعلم والتعلم. يقول سبحانه وتعالى: {**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}** التدبر ⇐ هو التمعن، واستكشاف ما خلف المعاني،

والمعنى الصحيح لهذا القرآن، انطلاقا من تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم لهذا القرآن وتفسير الصحابة. ولذلك نجد أن هذه الآية وأمثالها ولدت علوما. ومن أبرز العلوم التي برزت وظهرت في العصور الإسلامية الأولى هي علوم اللغة؛ لأن هذا القرآن نزل بلسان عربي مبين، فهذا القرآن فهمه وتدبره يتطلب اندفاعا من الإنسان نحو التعلم والمعرفة.

ويقاس على تعلم القرآن الكريم وأنه لابد من علم ومعرفة، "**فهم سنة الرسول صلى الله عليه وسلم**" الفهم الصحيح، الفهم الشمولي المتكامل الذي يربط بين العام والخاص، والناسخ والمنسوخ، والمطلق والقيد، والصحيح من غيره، حتى يتمكن الإنسان أن يستنبط أحكام وأدلة بطريقة صحيحة، هذا يتطلب إلماما بهذا العلم، والحديث عن الحديث، وعلوم الحديث، والعلوم التي نشأت ووجدت خدمة لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم طويل جدا، فهناك علوم الحديث التي اهتم أصحابها رحمهم الله ورضي عنهم بجمع الأحاديث، ثم كتب الرجال، ثم كتب الجرح والتعديل، ثم الكتب التي تجمع الأشباه والنظائر، والكتب التي تجمع آيات الأحكام والأجزاء في موضوع معين الخ، علوم كثيرة قام بها علماء المسلمين خدمة لهذا الدين، هذا مما يؤكد أهمية وضرورة وحتمية "التعلم".

وأيضا من الأشياء الجميلة جدا في جانب التعلم: أن **التعلم نشاط اختياري**، فلا يمكن أن يتم التعليم إلا بالاختيار.

وقد تحدث المتخصصون في علم النفس التربوي ونظريات التعلم التي وُجدت ونشأت وتوسعت، وتحدث كثير من المختصين في هذا المجال عن الشروط المناسبة لعملية التعلم،

❑ **أهم الشروط الواجب توافرها لحصول عملية التعلم:**

١ / **النضج** ، فهو شرط للتعلم

٢ / **الدافعية، و يقصد بها**: استثارة الطلاب وحفزهم وتشجيعهم حتى تكون عقولهم مهيأة لتلقي العلم،

لابد أن يكون هناك دافعية للمتعلم لكي يتعلم وإلّا لا يمكن أن تحصل عملية التعلم؛ لأنه ليس لدينا مفاتيح لعقول الطلاب، هم يفتحونها، نحن نشجعهم على فتح عقولهم، ونقدم لهم المحفزات لحصول عملية التعلم.

❑ **وهناك كثير من النصوص الشرعية التي تحث على قضية التعلم**

من ذلك على سبيل المثال: قوله صلى الله عليه وسلم: (طلب العلم فريضة على كل مسلم). وقوله صلى الله عليه وسلم: (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين)، و (من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة). وغيرها من النصوص التي تفضل طلبة العلم وتحثهم عليه وتشكل قاعدة لدافعية التعلم.

الحلقة (٥)

❖ المبدأ الثاني من مبادئ التربية الإسلامية : فرضية التعليم

قبل الدخول في الحديث عن هذا المبدأ نأخذ مقارنة وهي:

❑ **التفريق بين التعلم والتعليم**

⇐ **عملية التعـلّم**: تعني عملية اكتساب، وهي سلوك إنساني يعني تهيئة الإنسان لبذل جهد عقلي ونفسي لتركيز حواسه على إكتساب معرفة وإدخالها إلى عقله ، تعلم وبذل جهد ومبادرة من التلميذ أو المتعلم بشكل عام - نحن نتكلم عن التعلم بشكل عام وليس المقصود التعلم في مجال التخصصات المعينة - إنما عملية التعلم حتى في مهارات الحياة المختلفة.

⇐ **عملية التعليـــم**: تعني قيام المعلم سواء كان أستاذًا أو أبًا أو أمًّا في نشر العلم وتقديمه للطلاب أو من يعلمهم أو

من يربيهم، عملية التعليم هي عمليات متكاملة، لا يمكن أن تتحقق العملية التعليمية إلا بالنسبة للمتعلم استعداده للتعلم ، وبالنسبة للمعلم قيامه بعملية التعليم ، وعملية التعليم أيضًا هي عملية إنسانية وهي في أصلها وفي منطلقها غريزة إنسانية، طبيعة الإنسان يحب أن ينقل ما لديه من خبرات ومعلومات، ليس بالضرورة أن ينقلها لجميع مَنْ يعرف لكن ينشر هذه المعرفة لمن يرغب نقل هذه المعلومات إليه .

❑ **العملية التعليــمية هي عملية تواصل "اتصــال"**

العملية التعليمية ننظر لها من هذه الزاوية أنها عملية اتصال – عملية تواصل - وهي من أرقى عمليات التواصل الإنساني؛ لأن مادتها ورسالتها مع العلم والمعلومات، على سبيل المثال: حينما يقف المعلم أمام الطلاب ويتحدث إليهم ! هذا الحديث هو عملية إرسال رسالة، المعلم هو المرسل، والمعلومات هي الرسالة، والطالب هو المستقبِل أو المرسَل إليه الرسالة، وحينما يتحدث المعلم ، أو يطلب من الطلاب أن يقرؤون، أو يستخدم السبورة أو يطلب من الطلاب أن يستخدموا السبورة، أو يستخدم وسيلة تعليمية أخرى كعرض فيلم تعليمي أو إجراء تجربة أو تَشَارك الطلاب في عمل معين هذه وسيلة، وهذه أركان عملية الاتصال كما يشخصها الخبراء في مجال الاتصال

⇐ عملية الاتصال لها أربعة أركان : ① مرسل ② مستقبل ③ رسالة ④ وسيلة

ومن هذا المنظور فالعملية التعليمية هي عملية اتصال .

❑ **ما هي الرسائل والمقاصد التي تنقلها العملية التعليمية -العملية التربوية ؟؟**

هناك كثيرًا من العمليات والأنشطة الإنسانية التي يقوم بها الإنسان في يومه عبارة عن عمليات اتصال، حينما يستخدم الإنسان جهازه الجوال أو الهاتف الثابت أو يستخدم الفاكس أو يرسل رسالة مثلا بالبريد الالكتروني أو يرسل رسالة جوال هو يقوم بعملية اتصال، وهذه تستغرق من نشاط الإنسان اليومي الشيء الكثير، لكن بعض هذه الأنشطة وهذه العمليات الاتصالية ذات طابع ترويحي، يتصل الإنسان ليروح عن نفسه أو يستقبل رسالة أو اتصال من صديق ليمازحه "للترويح"، بعضها ذات جوانب اجتماعية : لصلة رحم، لمجاملة، لتهنئة، لتعزية، هذه كلها من المقاصد، قد يكون الترويح في هذا الوقت طغى على الكثير من وسائل الاتصال، الحديث عن وسائل الاعلام في هذا المجال كالإذاعة والتلفاز وغيرها كلها وسائل اتصال يغلب عليها الجانب الترويحي، أيضًا لا تخلو من فوائد علمية ومعلومات وغيرها.

❑ **الاتجاه الحديث في عملية التربية والتعليم**

لكن عملية الاتصال المعرفي والعلمي هي عملية متركزة بدرجة كبيرة على نقل معلومات أو اكساب الطالب مهارات التعلم، وهذا هو الاتجاه الحديث في عملية التربية والتعليم أن لا يكون المعلم هو مصدر المعلومة ! والتلميذ هو المستقبل لها ! وإنما الاستراتيجيات الحديثة لعمليات التعلم هي التي تنظر للطفل للتلميذ للمتعلم باعتباره محتاجًا لاكتساب مهارات التعلم الصحيح ونساعده ليصل إلى المعلومة، خاصة في هذا الوقت الذي أصبحت فيه المعلومات والمعارف عند أطراف الأصابع: عملية الاتصال على مراكز المعلومات، ومخازن المعلومات، ومواقع المراكز البحثية، ومواقع المكتبات الجامعية ومواقع المكتبات الافتراضية الموجودة على شبكة الانترنت، أيضًا المواد العلمية - الوسائط- كتسجيلات صوتية- محاضرات- أفلام علمية، مثلا: عن الزلازل، عن البراكين، عن البحار، الكائنات الحية، التشريح، إلى غيرها من المجالات - ينبغي أن لا تكون العملية التعليمية مجرد تحدث لفظي من قبل المعلم واستقبال من المتعلم، وإنما تكون قضية أوسع من ذلك بأن نُكسِب التلميذ مهارات اكتساب المعرفة والبحث عنها وسبل تحصيلها بطريقة صحيحة. يتصل بهذه القضية أن نتحدث عن :

❑ **ما هي الأشياء التي ينقلها المعلم أو تُنقَل أو تُكتسَب ليكتسبها في المحصلة النهائية التلميذ كزيادة له في رصيده المعرفي والوجداني والمهاري ؟**

١. المعلومات المعرفية

عبر العملية التعليمية والتربوية تُنقل **المعلومات المعرفية** مثلاً: تلاوة الآيات وشرحها وتفسيرها وأسباب نزولها والأحكام التي تُستنبَط منها، الأحاديث النبوية ورواتها والأحكام الشرعية المرتبطة بها هذه كلها معلومات، معرفة اللغة العربية وأقسام الكلام وما يتعلق بذلك من الإعراب والبناء وغيرها من معلومات نحوية وصرفية وبلاغية وما إلى ذلك هذه كلها معلومات .

٢. اكتساب المهارات

أيضًا من الأشياء المهمة -التي ركزت عليها وألمحت إليها قبل قليل- التي ينبغي أن يكتسبها الإنسان هي قضية: **المهارات، مهارة استنباط الأحكام**، كنا نلحظ هذه المهارة حينما يدربنا معلمونا على محاولة استنباط الفوائد والأحكام من الآيات أو الأحاديث ، أو استنباط صور بلاغية من نص أدبي سواء كان شعرًا أو نثرًا، هذه كلها عملية تدريب على اكتساب المهارات المعرفية.

٣. مهارات البحث واكتساب التعلم

التعلم التشاركي (التعاوني) - العمل بروح الفريق- هذه كلها مهارات مهمة ينبغي أن يركز على التحلي بها واكتسابها،

٤. الاتجاهات والقيم والأخلاق والمعتقدات والأحكام

هذه كلها من الأشياء التي تضمها المنظومة التعليمية وتنتقل من المعلم إلى التلاميذ .

٥. القدوة

وهنا نركز على ناحية مهمة وهي قضية أن **الموقف التعليمي أشمل من قضية إيصال معلومة واكتساب معلومة،** والأطفال الصغار والمتعلمون الصغار- بدرجة كبيرة- يكتسبون من معلمهم أشياء أخرى: أسلوب التعامل- طريقة الحوار- النظرة للحياة- التحلي بالفضائل، المعلم والمربي سواء كان معلمًا في مدرسة أو معلمة في مدرسة أو أبًا أو أمًا أو جارًا أو قريبًا أو غيرهم إنما يشكلون قدوات لأبنائهم، ونركز هنا على الأب، الأم، المعلم، المعلمة، فسلوكهم وطريقة حركاتهم وطريقة لباسهم وأسلوبهم في التعامل مع الآخرين، أسلوبهم في الالتزام بالشعائر التعبدية، هذه كلها مما يكتسبها الأطفال، لذلك نرى أن التلاميذ الصغار دائمًا يحرصون على محاكاة معلميهم وآبائهم وأمهاتهم في حركاتهم وشخصياتهم؛ لأنهم في هذه المرحلة المبكرة من العمر مستعدون لاستقبال هذا الجانب الذي هو جانب القدوة أو الجانب النموذجي .

❑ **العلم بطبيعته يسعى للانتشار**

طبعًا من الأشياء المهمة المرتبطة بهذا الجانب: **أن العلم بطبيعته يسعى للانتشار** خاصة إذا توفرت له البيئة، متطلبات الحياة الرئيسية – الأمن والصحة والأجواء المناسبة- فإنه بطبيعته يكون قابل للانتشار، بل إنه ينمو ويزداد وينتشر ويترسخ بنشره وبمداولته وبنقله من معلم إلى متعلم ومن أستاذ إلى تلميذ، هذه مهمة وصفة أساسية في قضية اكتساب المعلومات والمعارف .

⟸ **من ناحية شرعية** : هناك الكثير من المواقف ومن النصوص الشرعية التي تحث على نشر العلم وإكسابه للآخرين،

① من ذلك قوله تعالى: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا

قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ(١٢٢)}التوبة. هذا النص يبين أنه لا يمكن أن المسلمون في شتى أنحاء الجزيرة العربية في ذلك الوقت وفي أنحاء العالم في هذا الوقت جميعهم يتركون أعمالهم ومصالحهم ويحضرون لتلقي العلم، وإنما نُخب تأتي تتعلم ثم تعود لتنشر العلم وهذه قضية - كما ذكرت- ترتبط بأن العلم بطبيعته ينزع نحو الانتشار.

② وأيضًا - وإن كان هذا في أهل الكتاب لكن سياق النص في معرض النقد والتقريع لهم، والمقصود منه تحذير الأمة من الوقوع في نفس السلوك الذي قاموا به- يقول الله تعالى {وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ(١٨٧)}آل عمران. هذه الآية فيها توبيخ وزجر من الله سبحانه وتعالى لأهل الكتاب على هذا العمل الذي قاموا به، وفي نفس الوقت تحذير من الذين أنعم الله عليهم بالعلم أن يقوموا بنشره وتعليمه وعدم كتمانه وعدم السكوت عن إيضاحه، ونشره وإفادة الناس منه.

③ ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ(٦)}التحريم. وورد عن علي رضي الله عنه {قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا} يقول : "أدبوهم وعلموهم". فالإنسان مسؤول عن أهل بيته ويقيهم النار ويقيهم العذاب بأن يعلمهم ويعظهم ويبين لهم الصحيح من الخطأ ويبين لهم ما يحتاجون من أحكام ومعلومات وينقل إليهم ما عنده من علم ومعرفة، هذا هو سبيل وقايتهم.

❑ أساليب التعليــم

⇐ **أيضًا هناك أحاديث كثيرة** تبين لنا أساليب التعليم، وسبق أن تحدثنا في حلقة سابقة عن أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم في التعليم: التيسير والسهولة والحرص على إراحة المتعلم؛ لأن المتعلم إذا كان في جو الرهبة لا يمكن أن يتعلم التعلم الصحيح، إذا كان يتلقى المعلومات وهو في حالة خوف أو تهديد أو عدم ارتياح لا يمكن أن يتلقى المعلومات بطريقة صحيحة وأيضًا لا يمكنه أن يناقش، والمناقشة في العلم مهمة جدًا؛ لأنها من تداول العلم وتعاطيه والاستفسار عنه، فربما فَهِمَ التلميذ عن معلمه أشياء غير ما يقصدها، أو ربما أحيانًا سبق على لسان المعلم لفظة على لفظة دون أن يشعر، فهذا الاستيضاح والمناقشة هي لنشر العلم وترسيخه وتثبيته في أذهان المتعلمين.

① من ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: **(علموا ويسروا ولا تعسروا).** التيسير والحث على نقل المعلومات وشرحها بطريقة سهلة مبسطة وإعادة المعلومات خاصة المعلومات التي قد يصعب فهمها خاصة لصغار التلاميذ، يمكن إعادة التكرار وعرض المعلومة ثم إيضاحها ثم ضرب الأمثلة عليها ثم تلخيصها ثم مناقشتها مع الطلاب، هذا كله من تكرار العلم، وهو من الأشياء التي حث عليها الرسول صلى الله عليه وسلم واستخدمها مع صحابته في التعليم.

② أيضًا **كان رسول الله صلى الله عليه وسلم** بدرجة كبيرة هو **معلم وناقد للعلم،** علَّم الصحابة رضوان الله عليهم الذين هم تلاميذه ومتعلمون في مدرسته، نقل إليهم هذا الوحي (القرآن)، ألقى عليهم الأحاديث في مناسبات مختلفة، وصحح أخطاءهم ووجههم وأقرَّ بعض أفعالهم، هذه كلها من جهوده صلى الله عليه وسلم في نشر العلم وفي تزكية الناس وتعليمهم وتربيتهم بطريقة صحيحة.

والوضع الطبيعي جدًا أن البيئة التعليمية هي بيئة ذات صبغة اجتماعية يسودها الألفة والمحبة والاحترام والتقدير، ونحن في هذا الزمن أحوج ما نكون لترسيخ هذا المبدأ وهذا الأصل العظيم وهو قضية الاحترام الألفة والرحمة في الأجواء التعليمية حتى تكون العملية قائمة بشكل صحيح.

ولأهمية هذا العلم والتعليم -كما تعلمون- أن من أول الأعمال التي قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن وصل المدينة هو بناء المسجد، والمسجد هو مكان عبادة لكنه أيضًا مكان للدرس، والشرح، وإلقاء العلوم والمعارف، **فالمدرسة**

والبيئة هي ركن أساسي من أركان العملية التعليمية.

الحلقة (٦)

❖ المبدأ الثالث من مبادئ التربية الإسلامية : مبدأ التعليم للجميع

التعليم في التربية الإسلامية والتلقي والتربية بمفهومها الشامل من مربي إلى متربي، هي عملية شاملة لجميع الأعمار ولجميع الفئات، فهي تربية للصغار ، والكبار ، والرجال ، والنساء ، والآباء ، والأمهات.

وقد **كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خير مربي، وتجلت فيه معالم القدوة التي هي أهم أساليب التربية الإسلامية** وهي "الاقتداء"أو "التعلم بالنموذج" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أنموذجًا لنا في تعاملنا مع أبنائنا وبناتنا، فهناك العديد من الأحاديث ومن المواقف في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم تحكي لنا كيف كان يتعامل مع الأطفال وكيف يحترمهم ويحنو عليهم سواء في ذلك الأطفال من أحفاده أو أبنائه أو غيرهم، وكثير من المواقف التي سطرتها السنة النبوية عن مواقفه صلى الله عليه وسلم مع الحسن والحسين والتلطف معهما وتدليلهما ورعايتهما والحنو عليهما، وهذه جوانب مهمة جدًا يحتاجها الأطفال ونحتاجها نحن الآباء والأمهات حينما نتعامل مع أبنائنا.

⇐ البنــات

التعامل أيضًا مع بناته الكبار كان يعلمهن ويربيهن، هناك الكثير من المواقف التي تتجلى فيها تربية الرسول صلى الله عليه وسلم لبناته، وليس أدل من ذلك على أنه كان حينما تقدم ابنته فاطمة رضي الله عنها يقوم لها ويجلسها في مكانه، وأين هو الأب الذي يقترب من هذه الدرجة العالية والإحساس المرهف في التعامل الراقي والشفقة والرحمة مع البنت حتى وإن كانت في بيت وكنَفِ زوجها، حتى وإن كان زوجها رجلا صالحًا مؤمنًا مؤتمنًا كعلي ابن أبي طالب رضي الله عنه، لكن البنت تحتاج إلى بعض المواقف لتتعلم منها.

⇐ الأطفــال

أيضًا الأطفال من غير أحفاده وأبنائه من المحيطين به والذين يختلط بهم، تعامله الراقي مع أنس بن مالك رضي الله عنه الذي خدمه عشر سنين، وقد كان من توفيق الله لأنس رضي الله عنه أنه حينما قدم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أخذت أم أنس ابنها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت: "يا رسول الله هذا أنس يخدمك" لا شك أن هذا موقف راقي منها في تقديم الخدمة للرسول صلى الله عليه وسلم، وأيضًا فيه بُعْد النظر من الأم فقد كانت تريد لابنها أن يقتدي وأن يتربى وأن يتعلم ويعمل في بيت النبوة، وحسن والله ما اختارت لابنها ! فها هو أنس بن مالك رضي الله عنه من المكثرين من رواية الحديث، وذكر لنا في كثير من الأحاديث مواقف من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم في خاصته وفي أسرته وفي بيته مما نحتاجه من مواقف وأحكام.

كذلك كان لأنس رضي الله عنه أخ صغير يكنى بأبي عمير، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزور أم أنس وأسرتها وكان يداعب هذا الصغير ويلاعبه ببعض الكلمات ويكنيه، من ذلك الحديث المشهور **(ما فعل النغير يا أبا عمير؟)**

⇐ الشبــاب

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعامل مع الشباب وكان يربيهم، وهناك الأحاديث التي تدل دلالة راسخة في صحيح البخاري ومسلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يربي الشباب من الصحابة وكان يعدهم لحاجة الأمة الإسلامية، وفي مواقف كثيرة كان يخرجهم في السرايا، وكانوا يتربون على عين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبإرشاده

وبتوجيهه، وكانوا يقدمون بعض الخدمات للمسلمين : كاحتطاب الحطب وإحضار الماء بشكل مجموعات وأعمال تطوعية بإشراف الرسول صلى الله عليه وسلم، وكانوا يجتمعون أحيانًا ويتدارسون القران بإشراف وبتوجيه وبرعاية الرسول صلى الله عليه وسلم وبمتابعته، وبذلك شكَّلَ قدوة لمن جاء بعده من الصحابة سواء كانوا خلفاء أو ولاة أو غيرهم من الصحابة ممن اشتغل بأمور المسلمين أو بتعليمهم، إلى وقتنا الحاضر هذا نجد أن تعليم القرآن ومدارسته وحفظه وتحفيظه يلقى من ولاة أمور المسلمين في هذه البلاد وفي غيرها الرعاية والعناية والاهتمام والتشجيع الذي يستحقه.

⇐ **النســاء**

كذلك الرسول صلى الله عليه وسلم - كما أشرت- كانت تعاملاته مع جميع الفئات فهناك الأحاديث الكثيرة التي تدل على تعليمه للنساء، أحيانا في خطب العيدين أو الاستسقاء كان يعظهنّ ويذكرهن ويعلمهن، وقد طلبت مجموعة من الصحابيات من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يخصص لهن يومًا، وذكرت إحدى الصحابيات في بعض الأحاديث فقالت: "يا رسول الله ! غلبك الرجال علينا، فاجعل لنا يومًا نجلس إليك ونسألك". فكانت المرأة المسلمة تحرص على التفقه والتعلم، وكما ورد في الحديث الآخر عن عائشة رضي الله عنها: "رحم الله نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء من التعلم في أمور دينهن" فقد كان التعليم لجميع الفئات

⇐ **الرجــال**

ونختم الحديث عن أبرز الفئات، فئة الرجال الكبار، كبار الصحابة الذين كانوا في سن الرسول صلى الله عليه وسلم أو قريبًا منه، كانوا يتعلمون من الرسول صلى الله عليه وسلم، ولعل من حكم نزول القران الكريم في ٢٣ سنة أنه كان يتنزل كي يتدبره الناس ويتعلمونه، فقد كان الصحابة يتعلمون الآيات وإذا سافر أحدهم أو انشغل أو عرض له عارض وانقطع عن الرسول صلى الله عليه وسلم يبادر ويسأل: "هل أُنزل قرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم؟" كي يتعلم هذا القران ويتدبره ويحفظه.

وقد كان بعض الصحابة الذين يعملون في المزارع في أطراف المدينة يتناوبون في المجيء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأخذ العلم وما نزل من وحي وما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحاديث ومن أحكام وما علمه الصحابة رضي الله عنهم من مواقف ومن دروس، وقصة عمر رضي الله عنه حينما كان في فترة من الفترات يعمل في عوالي المدينة - الجزء الجنوبي منها بين المدينة وبين منطقة مزارع قباء- كان عمر رضي الله عنه يعمل في تلك المنطقة –في العوالي- هو وأحد الأنصار، وكانوا يتناوبون، أحدهما يعمل في الحقل والآخر يذهب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ليشهد معه ما ينزل من أحداث ومن أخبار ومن آيات تنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يعود وينقلها إلى أخيه، كانوا كذلك وهم كبار في السن، لم يمنعهم ذلك من التعلم، وهذا من المبادئ الراقية في التربية الإسلامية وهو تأكيدها على أهمية عملية التعلم،

وقد سطر علماء السلف في كتبهم وفي آثارهم العديد من النصوص التي تدل على أهمية التعلم وعدم الاستحياء من التعلم حتى في الكبر، من ذلك ما يؤثر عن أحد التابعين أنه قال "لئن ألقى ربي متعلمًا خيرًا من أن ألقاه جاهلا" بمعنى أن يتعلم وهو في الكبر، ولا حياء في العلم، العلم رفعة لصاحبه.

❖ المبدأ الرابع من مبادئ التربية الإسلامية : التربية مدى الحياة

إذا كان المبدأ الثالث يتسم بأنه التعليم الذي ينتشر أفقيًّا بين جميع فئات المجتمع الصغار والكبار والرجال والنساء، فإن هذا المبدأ يكون اتجاهًا عموديًا، بمعنى أن **التعليم والتربية يكون مدى الحياة** فلا ينقطع ولا يتوقف الإنسان عن

التعلم

⇐ **وهناك نصوص كثيرة تؤكد على هذا المبدأ منها :**

① قوله تعالى: {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا (١١٤)}طه. دائمًا الإنسان يسأل الله تعالى ويعمل أيضًا للاستزادة من العلم، ومن المبادئ التي قررتها التربية الإسلامية: أن العلم مطلق لا يمكن الإحاطة به، وإنما الإنسان يرتقي بقدر استزادته منه {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (٨٥)}الإسراء. هذه النصوص تؤكد على هذه القضية،

② كذلك قوله تعالى: {وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦)} يوسف. يدل على نسبية العلم البشري مقارنة بالعلم الإلهي المطلق الذي لا يمكن أن يقترب منه أو يدانيه علم من علوم البشر.

⇐ ومن الأشياء التي تؤكد هذا المبدأ - وهو التعلم مدى الحياة- إضافةً إلى النصوص التي تقرع سمع المؤمن والمسلم كي تحفزه وتدفعه باستمرار لتحصيل مزيدًا من العلم يقول في هذا أحد السلف "**من ظن أنه علم فقد جهل**"؛ لأن الجهل جهلان: جهل بسيط، وجهل مركب، فإذا ظن الإنسان أنه أدرك العلم وتربع على عرش العلم فقد ابتعد بذلك عن العلم الحقيقي واقترب من مرحلة الجهلاء.

⇐ أيضًا من القضايا التي تؤيد هذا المبدأ قضية **استمرار تنزل الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم، وحتى بعد وفاته لم يتوقف** ! صحيح توقف الوحي عن أهل الأرض لكن ظهر اتجاه آخر، فنجد أنه في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم كان هو المعلم لكن بعد وفاته نجد أن كبار الصحابة كابن عباس، وابن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأنس بن مالك، وغيرهم من علماء الصحابة جلسوا لتعليم الناس

بل نجد أن كثيرًا منهم وبتوجيه من الولاة -أبي بكر ثم بعده عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم- وجهوا الصحابة إلى الانتقال من المدينة برغم محبتهم رضوان الله عليهم للمدينة المنورة وسكناها وفضلها وبركتها، ولكن نجد أن كثيرًا من علماء الصحابة خرجوا لتعليم الناس؛ لأن هذا من أفضل القربات، ولأنه عملية ضرورية. خرج منهم أعداد كثيرة إلى البصرة والكوفة ودمشق ومصر وغيرها من الحواضر الإسلامية التي يكثر فيها التجمعات البشرية وتظهر فيها الحاجة إلى نشر العلم وتقديمه للناس، وهذا من فقه الصحابة رضوان الله عليهم لأهمية نشر العلم ولأنه عمليه موصولة مدى الحياة.

بل إنه إلى عصور قريبة نجد أن كثيرًا من كبار السن الأميين الذين لا يجيدون القراءة ولا الكتابة يلتحقون -حتى على كبر سنهم- بحلق الذكر وحلق التعليم ليتفقهوا في الدين وليتعلموا ويزدادوا من العلم.

❖ المبدأ الخامس والأخير : التربية على الربط بين العلم والعمل

في التربية الإسلامية وفي التعليم الإسلامي ليس هناك مقام ولا مجال للحديث عن العلم للعلم، أو لإنارة العقل، أو للاستزادة من المعلومات والمعارف فقط، نعم هذه مهمة لكنها ليست غاية وإنما هي وسيلة لكي يعمل الإنسان بما تعلم، فعلم بلا عمل كشجر بلا ثمر، علم بلا عمل وبلا تطبيق لا خير ولا بركة فيه، منزوع الخير والبركة وأحرى أن يُنسى ولا يُستفاد منه، لذلك جاءت التربية الإسلامية حاثة وحاضة على أهمية الربط بين العلم وبين التطبيق والسلوك الشرعي

⇐ من ذلك قوله تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ (١٩)} محمد. الاستغفار هذا سلوك وعمل وجداني يترتب عليه عمل الجوارح، فالعلم قبل القول وقبل العمل، قبل أن يعبد الله سبحانه وتعالى لابد أن يعلم؛ حتى لا يقع في الخطأ، ولكي يعبد الله وفق ما شرع ، كذلك ما ورد في سورة العصر {وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)} هذه الآيات تدل على أهمية التواصي، والتواصي نوع من

الدلالة، نوع من الإرشاد، نوع من التعاطي العلمي الذي شرعه الله سبحانه وتعالى خاصة فيما يتعلق بتعليم الشرائع وتعليم العبادات وشرح النصوص القرآنية والأحاديث والعلوم المساعدة لها.

⟸ هذه قضية مهمة وهي ضرورة ربط التعليم بالعمل وبالتطبيق، وأي علم لا فائدة منه لا خير فيه، ولا يعني هذا أو يتبادر إلى الذهن أن هذا توافقًا مع (البراجماتية) التي تركز على الناحية النفعية؛ لأن ثمرة العلم وتطبيقه يشمل جوانب نفعية مادية مباشرة للإنسان، ومصالح ذاتية قريبة مشاهدة، ويشمل أيضًا ما ينفع الإنسان في عبادته وسلوكه العام وأخلاقه وقيمه ومعتقداته التي يسعى من ورائها لكسب الأجر من الله تعالى ونيل الدرجات العلى.

⟸ من هذا نستفهم إلى حد ما "**ما الدور الذي (ينأى)**[1] **به علماء الإسلام إلى الفلاسفة؟**" الفلاسفة يتعاطون عملا عقليًا محضًا، ويناقشون أحيانًا – قضايا لا فائدة منها- قضايا كما يقال "بيزنطية" ولا يمكن الوصول إلى رأي محدد فيها، لذلك نُبِذت الفلسفة ونُبذ التفلسف، إضافة إلى أسباب أخرى. لكن هذا الجانب وهو عدم الانتفاع بتعاطي وعمل الفلاسفة وإهدارهم للأوقات والأعمار بلا فائدة وبما لا طائل تحته لا شك أن ذلك أمر مرفوض في التربية الإسلامية، ويؤكد هذا المبدأ على قضية الناحية التطبيقية لكل ما يتعلمه المرء ويستفيده من علوم ومعارف

بهذا نكون قد انتهينا من مبادئ التربية الإسلامية.

الحلقة (٧)

❑ الفصل الثالث: مؤسسات التربية الإسلامية

في هذه المحاضرة والمحاضرات التي تليها إن شاء الله تعالى سيكون حديثنا عن **مؤسسات التربية الإسلامية**، والتربية بشكل عام والتربية الإسلامية على وجه الخصوص لا يمكن أن تتم في فراغ، وإنما تتم وسط بيئة ووسط مجتمع، فالإنسان خلقه الله سبحانه وتعالى ككائن مستعد للحياة بشكل مجتمعات إنسانية وبشرية، وهيَّأ فيه وأودع فيه من السنن التي تجعله يندفع وينضبط وسط هذا المجتمع الذي يعيش فيه.

❖ المؤسســـة الأولى: الأســـرة

وهي أهم المؤسسات وأكثرها تأثيرًا في حياة الإنسان، فالأسرة هي وسط اجتماعي وفي نفس الوقت وسط حيوي، فإضافةً إلى ما يحصل داخل الأسرة من تآلف، ومن تقارب، ومن اجتماع، ومن محبة، ومن أنس بعضهم ببعض، كذلك فإن هناك علاقة حيوية بيولوجية، فالأبناء هم سليل (الأب والأم)، فهذه الروابط مجتمعةً تساهم في تماسك الأسرة وصمودها أمام كثيرٍ من العوامل والمتغيرات.

فالأسرة نشأت مع نشأة البشرية، أبونا آدم عليه السلام وأمنا حواء عليها السلام حينما نزلا إلى هذه الأرض أنشآ أسرة، وربيا أبناءً وبناتًا خرج من أصلابهم هذه الأمم التي نراها في هذا العصر. فالأسرة هي المحضن الأول والمؤسسة الأولى التي يعيش في كَنفِها الأبناء والأمهات.

[1] / هذه الكلمة غير واضحة !

❑ **أركـــان الأســـرة**

١. **الركن الأول: الأب**

وهو ولي الأمر داخل بيته، وهو المسؤول عنهم وعن حمايتهم، وعن تأمين العيش وسبل الحياة الكريمة لهم، وأيضاً مسؤول بدرجة مباشرة وغير مباشرة عن تربيتهم سواء كانت الأم أو الأبناء والبنات. ويمتاز الأب بصفات فيه جانب الهيبة والسيطرة والحزم والتروي والحِلْم وعدم الاستعجال في اتخاذ القرارات.

٢. **الركن الثاني: الأم**

الأم في بطنها ينمو الجنين حتى قبل ظهوره إلى هذه الدنيا، ويكبر حتى يخرج إلى هذه الحياة، فيخرج كائناً متخلقاً بإرادة الله سبحانه وتعالى من نطفة الرجل وأمشاج المرأة، فهو مكون بتركيبته من خصائص مشتركة من الطرفين. ولا شك أن الأم تمتاز بسمات معينة منها:الحنو، الحلم، والعطف، والرحمة، والشفقة، والإحساس المرهف، وإدراك الأمور في بداياتها إذا ما عرض للطفل عارضٌ أو مرض أو ما إلى ذلك فإن أول من يستشعره في ذلك هو أمه. وهي تمثل الجانب الهادئ، الجانب العاطفي، الجانب الاحتضاني، جانب الدفء والرعاية والحنان. وهذه لا شك أمورٌ يحتاجها الأبناء والبنات وتحتاجها الأسرة بكاملها لأنها عمادٌ من أعمدة الأسرة.

٣. **الركن الثالث: الأحكام والنظم والقوانين**

الأحكام والقوانين التي تحكم هذه الأسرة، فهذه الأسرة تكونت بناءً على علاقة محددة وفق ضوابط معينة، المرأة تكون فيه معززة مكرمة في بيت والدها وبيت أسرتها، وإذا تقدم لها من هو أهل وكفء لها وتثبتَ أهلُها وأسرتها من ذلك فإنها تخرج مسؤوليتها من والدها وأسرتها وتكون تحت مسؤولية زوجها. هذه أحكام تتعلق بالنكاح والطلاق وحقوق الزوجة وحقوق الزوج وهي ركن من أركان قيام الأسرة، فعدم وضوح وتطبيق هذه القوانين والأنظمة والتشريعات لا يمكن أن تقوم الأسرة بطريقة سوية، بل إنه إذا اختل شيء منها اختل توازن الأسرة، وما نلحظه أحياناً من وجود أب ضعيف أو أم متسلطة هذا حقيقة لا شك أنه يؤثر بالناحية السلبية على وضع الأسرة وعلى تكوين الأسرة وعلى طبيعة التفاعلات التي تكون داخل الأسرة.

٤. **الركن الرابع: التفاعلات داخل الأسرة**

وتشمل: التفاعل اللفظي، والتعليم، والنصح، والتوجيه، والتنبيه على الأخطاء، والمؤانسة، وحسن المعاشرة سواء في اختيار الألفاظ الجيدة والراقية بين الزوجين بعضهم مع بعض أو أيضاً مع أطفالهما، فمسؤولية الأبوين أن يستخدما أسلوب التواصل والخطاب المناسب الراقي الذي يساهم في تهذيب سلوك الأطفال وفي ترقيتهم وفي الرقي بهم.

ومن الأشياء المرتبطة بهذا الجانب وهو جانب التواصل، كثيراً ما تفتقر بعض البيوت إلى نمط معين من التواصل وهو قضية **التعزيز اللفظي**، والذكر الحسن، والثناء على الزوجة بما تقدمه وما تقوم به من أشياء سواء في خدمة زوجها وإعداد مطعمه وملبسه وتربية أبنائه، أو أيضاً ما تقوم به في نفسها من حسن تجمل وحسن تبعل وحسن عشرة لزوجها، هي بحاجة إلى لغة الإطراء والمدح والثناء، وأيضاً الرجل محتاج لمثل هذه العبارات، فتبادل مثل هذه العبارات وهذه المصطلحات وهذا التواصل الراقي مما يزيد من تلاحم الأسرة ويجعلها ظلاً يستظل به الآباء والأمهات من لهب ظروف الحياة المعاصرة وغيرها من لأواء ومشاق العمل ومكابدة الحياة، فحينما يعود إلى أسرته ويسمع ويجد فيه ما تسر عينه وما يسر أذنه لا شك أن هذا مما يساعد التآلف والتكاتف، ويجعل البيت جنة وعشاً جميلاً يسعد الزوج وتسعد الزوجة باستمرار البقاء فيه لساعات طويلة، ولا شك أن البقاء والقرار في البيت مطلوبٌ بقدر ما يحتاجه الأبناء من رعاية

وتوجيه، ولا شك أن تربية الأبناء ترتبط استقامتها وصلاحها بدرجة كبيرة بمدى الوقت الذي يعطيه الآباء والأمهات لأبنائهم.

❑ **الشروط التي تساعد في تحقيق الأسرة المسلمة للتربية الإسلامية، ورفع مستوى التربية للأبناء والبنات :**

أولاً : صـلاح الزوجـين.

أهم المعايير التي ينبغي أن يراعيها الرجل حينما يبحث عن امرأة تكون زوجة له وأماً لأبنائه:

١) **أن يختار ذات الدين والصلاح والأخلاق وحسن التعامل،** هذه من أهم المعايير. وكذلك المرأة ووليها إذا تقدم لها من تعتقد فيه الكفاءة ينبغي أن تتأكد المرأة وأولياؤها أن هذا الرجل تتوافر فيه شروط الصلاح وإبراء الذمة ويكون عوناً لهذه المرأة التي تربت في أسرتها وأن تخرج كالأمانة التي لا تعطى إلا لمن هو أهل لحملها.

٢) **من الشروط التي ينبغي أن يرعاها فيها هي قضية الإنجاب،** لا شك أن الله سبحانه وتعالى أودع في كل من الرجل والمرأة طبيعة التجاذب حتى يكون ذلك عوناً لهما لإقامة أسرة سليمة ويحقق شرط الاستمرارية لهذه الأسرة، فالتجاذب بين الزوجين من أهم العناصر التي تساعد في تكوين الأسرة، وأيضاً مما يساعد على صمود الأسرة وتماسكها الغريزة التي أودعها الله سبحانه وتعالى في نفوس الرجال والنساء وهي غريزة الإنجاب ورؤية الذرية والأبناء، لا شك أن هذه من الأمور التي تتوافق مع الفطرة ويحث عليها الشرع الحنيف، فينبغي أن يجعل الرجل وتجعل المرأة من مقاصدهما في الزواج أن ينجبا ذرية صالحة ويهدفا إلى تنشئة هذه الذرية من الأبناء والبنات تنشئة إسلامية صحيحة.

٣) **من شروط اختيار الزوجين أيضاً إقامة حدود الله سبحانه وتعالى داخل الأسرة** بحيث يكون الزوج معيناً لزوجته ولأم أبنائه وربة بيته على طاعة الله، فإذا أخطأت يصوبها وإذا قصرت ينصحها، وإذا احتاجت إلى تأديب يؤدبها بالرفق وباللين وبالحكمة وبالأساليب التي تؤدي إلى تحبيبه وعدم تنفيره. وكذلك المرأة يجب أن تكون عوناً لزوجها على الطاعة وعلى أداءما فرضه الله تعالى، وإذا أراد أن يتنفل تكون معينة له مهيأة له الأسباب المعينة و المؤدية لطاعة الله سبحانه وتعالى والالتزام بأمره.

ثانيًا : أن يعرف الزوجان أسس التربية الإسلامية الصحيحة،

ولابد أن يكون أولاً عند الأب والأم حساً تربوياً يدفعهما إلى الاقتناع بأنه لا يمكن أن يكون صلاح الأبناء والبنات مصادفةً، وإنما يتم ذلك من خلال ما يقدمه الآباء والأمهات من جهدٍ ومن عملٍ دؤوب، وأن ينظر الأب والأم إلى أن أهم مشروع يقدمانه في هذه الحياة هو مشروع تربية الأبناء وصلاحهم، وما زاد عن ذلك فحسن لكن يجب ألا يشغلهما بعد حق الله سبحانه وتعالى عن حق تربية الأبناء وإصلاحهم والقيام عليهم فهذا من أهم المهمات.

وينبغي أن يُطلع بالذات في هذا الوقت على أسس التربية الإسلامية الصحيحة، وكيف نربي التربية الصحيحة المتوازنة التي لا تعني جفافاً في الأسلوب وتعنيفاً واكفهرارا في الوجه، ولا تعني أيضاً تمييعاً وتدليلاً، وإنما يكون بتوسط وبتنسيق، بحيث لا يكون الأب يوجه إلى أمر وتوجه الأم إلى نقيضه أو ألا يتفقان على أساليب في تربية الأبناء، فهذه من المشكلات. ينبغي أن يتفقان على الأسلوب الصحيح وهو (التوسط) في تربية الأبناء، وأن يهتم كل منهما بجانب من جوانب تربية الأبناء ولا يطغى أحدهما على الآخر.

❑ **بعض الوظائف التي يمكن أن تضطلع بها الأسرة**

١. **أهم وظيفة للأسرة المسلمة أن تجعل البيت بيئة إسلامية** لا يكون فيه شيئاً من اللهو المحرم أو المعاصي أو الصد عن ذكر الله أو ما يشغل عن طاعة الله سبحانه تعالى وعن عبادته، فينبغي أن يكون البيت بيئةً حاضرة تساعد على

إصلاح الأبناء والبنات، وأن لا يكون فيه وسائل أخرى يكون فيها ما يخالف أمر الله، يجب أن يكون هناك انتباه للإنترنت أو غيره من الوسائل التي ممكن أن يكون فيها ما هو نافع ومفيد، يجب أن يكون هناك رقابة وضبط وتقنين لما يطلع عليه الأبناء والبنات.

٢. **المحافظة على فطرة الناشئ**، الله سبحانه وتعالى خلقنا مسلمين، والطفل يخرج من بطن أمه صالحاً مسلماً عابداً لله سبحانه وتعالى، فمن أهم المهمات وأهم الوظائف التي تضطلع بها الأسرة المسلمة هي : عملية المحافظة على هذه الفطرة وحمايتها وتعزيز جوانب الصلاح، وإذا ما بدرت بوادر انحراف يبين ويصحح ويكون ذلك في الوقت المناسب، والحذر من الانحراف في فطرة الطفل سواءً لعقائد منحرفة أو ربما لبعض أنماط السلوك الغير سوية والغير صحيحة والتي يشجع أحياناً بعض الآباء والأمهات عليها أبنائهم من باب التندر والظرافة، كأمر الطفل أحياناً أن يضرب أحداً أو يبصق عليه أو أن يسبه أو يطلق بعض الألفاظ البذيئة فيعتاد لسانه عليها، ولا شك أن هذا من خيانة الأمانة ومن انحراف الفطرة عما خلقه الله سبحانه وتعالى عليها.

٣. **رعاية نمو الطفل من جميع الجوانب**، وأخص الجوانب الأربعة المهمة والرئيسية:

① **الجسمي.** ②**العقلي.** ③**الوجداني.** ④**التعبدي**

جانب العبادات التي ينشأ عليها الطفل حتى في مرحلة صغره بقدر ما يستوعبه عقله. الحرص على عملية النمو هذا جانب مهم للغاية، وتتجلى أهمية الأسرة بشكل عام وعملية النمو في التأثير على تربية الأطفال ما خص الله سبحانه وتعالى به الطفولة البشرية عن سائر الطفولات الأخرى عند الكائنات الأخرى من طول فترة الطفولة البشرية، فالطفل عند الإنسان تمتد طفولته إلى ما يقارب ١٢ – ١٣ سنة كلها يحتاج فيها إلى رعاية الأبوين، وتقديم الطعام، وتقديم الخدمات، هذه الفترة الطويلة التي هو ملزم بالبقاء فيها مع الأسرة لقضاء الحاجات الأساسية ينبغي أن يدرك منها الآباء والأمهات أهمية موضوع التربية، وأنها عند الإنسان تحتاج إلى وقت طويل ولذلك طالت فترة رعاية الطفل.

ومن المواقف التي تتجلى فيها الحكم التربوية ويتجلى فيها تكريم الله سبحانه وتعالى للإنسان: الله سبحانه جعل **فترة الرضاعة** للطفل من أمه حولين كاملين (سنتين)، ومن إكرام الله سبحانه وتعالى أنه أكرمه حتى في هيئة رضاعه!! فلو نظرنا إلى الكائنات الأخرى حينما تُرضع أبناؤها تكون في وضعٍ مختلف، أما الإنسان فيكون في حضن وفي مقابلة وجه أمه وفي منطقة يستقبل فيها الدفء والحنان والأمن والأمان والحماية، هذه كلها تؤكد هذه المعاني، وكلما تقدمت بالطفل الأيام والسنون كلما زاد احتياجه إلى جوانب أخرى أكثر رقياً سواء الجوانب الإيمانية أو الجوانب العقلية حتى يصل إلى درجة النضج، حينها يكون مسؤولاً ومحاسباً على تصرفاته وعلى أفعاله.

الحلقة (٨)

❖ المؤسسة الثانية: المسجد

المسجد من أهم المؤسسات التربوية بشكل عام، **وأماكن العبادات هي أماكن تربوية**، والعلاقة بين العبادة والتربية علاقة وثيقة، وفي الإسلام هناك ارتباط وثيق ووشيج بين المسجد ودوره العبادي وأيضا دوره التربوي، فالمسجد هو مكان عبادة الله سبحانه وتعالى، ويلتقي فيه المسلمون خمس مرات في اليوم يؤدون فيه صلاة الجماعة في خمس فروض فرضها الله سبحانه وتعالى، ولا شك أن الصلاة من أظهر وأبرز شعائر الإسلام، كما أن المسجد الذي هو مكان الصلاة ومكان العبادة من أهم المعالم و مظاهر الشعائر الإسلامية باعتباره مكان العبادة، وباعتبار أن الله سبحانه وتعالى قد أوجب على

المسلمين الذكور صلاة الفروض في المسجد.

❑ **أهمية المسجد**

وتتجلى هذه الأهمية -أهمية المسجد- حينما نستطلع سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، من المعلوم أن النظام الإسلامي بمفهومه الشمولي والعام ظهر بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فقبل الهجرة كان المسلمون غالبا ما يؤدون عباداتهم سراً وفي الخفاء وكانوا في حالة استضعاف، أما بعد الهجرة فقد كان للإسلام والمسلمين كيان ومؤسسة مستقلة بأنظمتها المختلفة، **ولأهمية المسجد نجد في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم أن أول عمل قام به بعد الهجرة هو بناء المسجد،** فهو من اختار المكان المناسب في وسط المدينة المنورة، وقام ببناء المسجد.

ويتجلى العمل التربوي في المسجد أول ما يتجلى في عملية البناء، فقد تساعد المهاجرون والأنصار بأنفسهم وبأموالهم في بناء المسجد، وأصبح مكان التقاء لهم، ولا شك أن الصلاة بحد ذاتها هي من أجلِّ العبادات التي تربي النفوس وتزكيها وتربطها بخالقها سبحانه وتعالى، ثم بين هذه الصلوات - بعد الصلاة وقبل الصلاة - كان الرسول صلى الله عليه وسلم يجلس في المسجد ويعلم الناس ويتلوا عليهم ما أنزل الله سبحانه وتعالى عليه من آيات ومن قرآن، ويستقبل الوفود، ويدعو إلى الإسلام، ويوجه نحو السلوكيات الخاطئة التي قد تظهر، فكان إذا حصلت مشكلة أو ارتكب خطأ دعا الناس للصلاة ثم خطبهم و بيّن الخطأ حتى يعلِّم الناس أمور دينهم، ويبين لهم الأخطاء التي قد يقع فيها أحد من المسلمين.

❑ **أهمية المسجد كمؤسسة تربوية**

فالمسجد هو أول مؤسسة تجلت فيها العبادات، والمسجد كما هو مكان للعبادة هو أيضا مكان التعليم، فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم ثم الصحابة من بعده ثم التابعين وإلى وقتنا الحاضر تزخر المساجد بحلق العلم والتعليم والتدريس، ولا شك أن المسجد هو مدرسة المسلمين الأولى،

وتتجلى العلاقة الوشيجة بين المسجد والمدرسة من خلال ذكر المثال التالي: فقد ذكر أحد الباحثين في تاريخ التربية الإسلامية الدكتور أحمد شلبي -رحمه الله- "أنه في القرون الرابع والخامس والسادس والسابع والثامن الهجري كثيرا ما كانت تختلط المدارس بالمساجد فلا يعرف هل هذا مسجد أم مدرسة ؟! وقد يقول السامع للوهلة الأولى كيف يحصل هذا؟ كيف يحصل لبس بين المدرسة والمسجد؟ -طبعا بالبيان ربما يتضح المثال- فقد كانت كثيرا من المساجد يلحق بها مدارس، وقد تشتهر هذه المدارس وتزخر بالعلماء ويؤمها الطلاب من كل مكان، وتكتسب شهرة كبيرة جدا فيظن من يراها أن هذه مدرسة، - يعني المسجد جاء حقيقة لخدمة هؤلاء الطلاب، طلاب المدرسة ابتداءً، المسجد هو الذي أُنشأ أولاً وألحقت به مدرسة ثم توسعت - وقد يحصل العكس، أحياناً تنشأ المدرسة وهذه مدرسة يكون من ضمن مرافقها مسجد لأداءالصلوات، وقد يكبر المسجد ويؤمه كثير من المصلين، ويكون له إماما وخطيبا فيبرز هذا المسجد ويشتهر أكثر من شهرة المدرسة، من هنا يأتي اللبس هل هذه المؤسسة أساسًا مدرسة؟ أم هي مسجد؟.

وهذا يدل على العلاقة والامتزاج الوشيج بين المدرسة وبين المسجد، **فالمسجد هو مدرسة المسلمين الأولى** وهو مكان تعليمهم، وحتى قبيل التعليم النظامي في كثير من أنحاء العالم الإسلامي كانت المساجد أماكن لتعليم الدروس، سواء كان التعليم الأولي تعليم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب والقرآن الكريم وغيرها، أو الدروس العلمية التي يقوم بها العلماء، وكثيراً من العلماء الذين ظهروا عبر تاريخنا الإسلامي الطويل إنما كانوا يلقون دروسهم ويعلمون الناس في المساجد، من هنا يظهر لنا أهمية المسجد كمؤسسة تربوية.

❑ أهم وظائف المسجد :

أولاً / بالنسبة للفرد :

١. أنه قديمًا مكان التعليم والعبادة بدرجة مباشرة

تعليم علوم الدين والتفقه فيه وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم والتفسير واللغة العربية، كانت تدرس ويتعلمها الناس في المساجد، إضافة إلى الدور التربوي التي يقوم به المسجد باعتباره أيضاً مكانا للعبادة ومكانا لأداءالصلاة، فالمسجد تتحقق فيه الراحة النفسية ويتحقق فيه الاتصال بالله سبحانه وتعالى والبعد عن الدنيا وعن مشاغلها وعن توتراتها وعن ما تسببه للإنسان من إزعاجات، فالإنسان بحاجة كل فترة -في كل يوم عدة مرات كما شرعها الله سبحانه وتعالى- أن يذهب إلى المسجد ليلقي عنه أعباء وتوترات هذه الحياة، فالصلاة هي راحة وطمأنينة وسكينة، والبقاء في المسجد والمكث في المسجد وهو مكان منفصل عن أعمال الدنيا وعن شواغل الدنيا يريح الإنسان ويعطيه مزيدًا من الطاقة.

ولعله من حكم تشريع الاعتكاف الذي هو المكث في المسجد : الانقطاع ذكرا وتعلما وتعليما ومدارسة ومذاكرة وصلاة وصياما، إنما يتجلى في هذه الشعيرة شعيرة الاعتكاف، تتجلى الجوانب التربوية بما فيها من قطع للنفس عن الحياة ولأْوَائِها والكدح والكد والاشتغال بها وهذا مما يعطي الإنسان ويعطي الفرد المسلم طاقة وراحة وطمأنينة.

٢. سمو الأخلاق ورفعتها

لا شك أن أداءالصلاة والبقاء في المسجد يُريح ويؤدي إلى طمأنينة، ويؤدي إلى سكون، والإنسان يستجيب لأمر الله سبحانه وتعالى بالتأدب في المسجد، فالمسجد مكان لا مجال فيه للمشاحنة أو التباغض أو رفع الأصوات أو الحديث في أمور الدنيا أو الضحك أو ما إلى ذلك، إنما فيه تعليم وصلاة وعبادة وذكر ودعاء وسلام ومؤانسة بما يليق بمكان المسجد بين المسلمين ، وفيه التقاء فيما بينهم. ولذلك نرى دائما تتجلى هذه الوظيفة للمسجد، وهي ما يتعلق برفعة الأخلاق وسموها، نجد أن الناس في ساعة خروجهم من المسجد يكونون في حالة هدوء وطمأنينة وسكينة وبشاشة ومؤانسة فيما بينهم، وهذه ظاهرة نراها بشكل مستمر حينما يخرج الناس من المساجد، وعلى العكس حينما يخرجون من أماكن عمل أو من الأسواق أو غيرها من الأماكن التي قد تسبب توتر الأعصاب والمشاحنة والمنافسة وما إلى ذلك، المسجد ليس مكانا لهذه الأمور لا لحسد ولا لبغضاء ولا لمنافس في أمور الدنيا، بل هو تزكية للنفوس وتطهير لها عن هذه الأمور.

٣. الراحة والطمأنينة والأنس للمسلم

وربما أن من ذهب إلى بعض البلاد غير الإسلامية وعاش في مجتمع من المجتمعات غير الإسلامية، يتجلى فيها هذا الأثر النفسي، حينما يرى مسجد يشعر بالانتماء إلى الأمة الإسلامية والمجتمع المسلم، فالإنسان إذا دخل المسجد يشعر أن هؤلاء المؤمنين إخوة وأنهم يقفون أمام الله سبحانه وتعالى سواسية، التفاضل بينهم هنا في المسجد بالإيمان، فمن يسبق إلى الصلاة ويتقدم إليها ومن يحرص عليها هو الذي يكون في المقام الأول وفي صدر المسجد وفي مقدمته وله من الأفضلية والأجر عند الله سبحانه وتعالى لذلك، فهذا يؤدي إلى إحساس الفرد المسلم بالانتماء، والانتماء لا شك أنه من أهم الحاجات النفسية الذي إذا لم يشبع بالطريقة الصحيحة فإنه قد يؤدي إلى التوترات، ويؤدي إلى تمزق المجتمع وإلى تفتته. وليس هناك مكان في المسجد لكبير أو وجيه أو زعيم أو ثري أو ما إلى ذلك، فالتفاضل بالتقوى ولا شك أن هذا يؤدي إلى الطمأنينة ويساعد على تماسك المجتمع المسلم بدرجة كبيرة.

أيضا وقوف المسلمين صفاً واحداً خلف إمام واحد سواسية وائتمامهم بهذا الإمام لا شك أن هذا من المعجزات في

الحقيقة، ولا شك أن من يرى الصلاة في الحرمين -على سبيل المثال- ويرى انضباط الناس وسرعة اصطفافهم بأنفسهم دون تدخل من رقيب أو مسؤول، إنما الناس يصطفون تلقائياً، وما هي إلا لحظات بعد أن تقام الصلاة حتى تكون الصفوف قد اصطفت وائتمت بإمامها، لا شك أن هذا معجزة من معجزات هذا الدين، ولا شك أن هذا مظهر من مظاهر الترابط، والنظام الإسلامي هو نظام متماسك مترابط في لحمة واحدة لا يقبل ولا يصح فيه أن تتم التجزؤات أو التحزبات أو التنافر؛ لا شك أن هذا مما يضعف الكيان الإسلامي ويضعف المجتمع الإسلامي بشكل عام .

ثانيًا / / بالنسبة للمجتمع :

١. إعداد الفرد للحياة الاجتماعية

لا شك أن المسجد بما فيه من هدوء وما فيه من انتظام يساهم في سهولة اندماج الفرد في المجتمع، فدخول الصغير والكبير في المسجد في هدوء وانضباطهم فيه لاشك أن هذا مما يساعد الشباب ويساعد الناشئة على أدائهم لسلوك الكبار ودخولهم في عالم الكبار واندماجهم في مجتمع الرجال من أمثالهم، من هنا يؤكد دائماً في المؤسسات التربوية على أهمية تشجيع الشباب على الحرص على أداءالصلوات وتأكيداً صلاة الجماعة؛ لما فيها من الخير وما تؤدي إليه من أداءللدور المنوط بهم في الحياة الاجتماعية والمسؤولية الاجتماعية.

٢. المحافظة على ثقافة المجتمع المسلم

فلاشك أن أداءالصلاة وانضباط الناس في وقت واحد وحضورهم للدروس التي تلقى في المساجد وسماعهم للمحاضرات والدروس والنصائح والمواعظ التي تقام فيه لا شك أن هذا مما يقوي النفوس ويعزز المشاعر ويعزز الارتباط والمحافظة على هوية المجتمع المسلم.

وتتجلى هذه الوظيفة للمسجد في المحافظة على ثقافة المجتمع فيما يتناوله **خطيب الجمعة** في كل أسبوع حينما يتناول قضية معينة ذات صفة عامة إذا كانت هناك ظاهرة أو مشكلة أو مخاطر يتناولها، ونحن نعرف حقيقة وندرك ما لخطبة الجمعة وخطيب الجمعة من تأثير واضح على الناس ! فموقف الخطيب يختلف عن موقف المعلم أو المحاضر أو المناقش، المسلمون جميعهم ملزمون شرعا بالإنصات في المسجد للخطيب -خطيب الجمعة- والاستماع لما يقوله ولما يقرره، ولا شك أن هذا يساهم كثيرا في صيانة المجتمع والتحذير من الأخطار و الأخطاء الاجتماعية التي قد تحصل، لا شك أن من الدور الرئيسي المناط بخطيب الجمعة أن يتناول القضايا التي تهم المجتمع الذي يعيش فيه، فيتناول الأخطاء التي قد يرتكبها الآباء في تربية أبنائهم أو يحذر من بعض المشكلات الاجتماعية وبعض الظواهر الاجتماعية وبعض المستحدثات أو الموضات أو الأشياء التي قد تستجد أو تحدث فيكون لها تأثيرا سلبيا على الناس وعلى المجتمع.

فهذا طبعا من الدور الاجتماعي الهام والتربوي الهام للمسجد كمؤسسة اجتماعية تساهم في وحدة المجتمع تحت ثقافة واحدة والمحافظة على الثقافة الإسلامية والقيم والأخلاق والعادات والتقاليد التي تكون في الغالب مشتقة ومستنبطة من القيم ومن الأخلاق الإسلامية .

الحلقة (٩)

❖ **المؤسسة الثالثة : المدرسة**

إن المدرسة بمفهومها المعاصر كمبنى مستقل في ذاته خُصص للتعليم هو من المؤسسات الخدميَّة الحضارية.

❑ **مقدمة تاريخية عن نشوء المؤسسات الخدمية (بما في ذلك المدرسة):**

نجد أن الحضارة الإنسانية بدأت تبرز فيها القطاعات الخدمية حينما امتهن الإنسان الزراعة، وحينما كانت المهن الأولية التي مارسها الإنسان هي كانت الجمع والالتقاط، وجني الثمار، والصيد، ثم بعدها الرعي، كلّها تتطلب استخدام مساكن متنقلة، أو بيوت خفيفة سهلة النقل، أو خيام، وما إلى ذلك، تجعل الإنسان ينتقل من مكان إلى مكان طلباً للرزق، وتبعاً لمصالحه في جمع الرزق، وفي تحصيل قوت يومه.

ولكن حينما اكتشف الإنسان الزراعة، وعمل بالزراعة، هذا جعله يحتاج إلى الارتباط بالأرض، وجعله بالتالي يتحول من احتياجه إلى مساكن مؤقتة أو سهلة التنقل كالخيام أو ما شابهها إلى مبانٍ مستقرة ومحصَّنة، حتى يقي نفسه من مخاطر الاعتداء من الآخرين، سواءً من حيوانات كاسرة، أو من هجمات المعتدين، فبنى البيوت المحصَّنة، ثم بنيت الأسوار حينما قامت القرى والمدن كي تصد هجمات الغزاة والمعتدين فحينما ارتبط الإنسان بالأرض ؛ ظهرت الأعمال الخدمية.

أهم الوظائف "الخدميّة" التي نشأت حينما استقر الإنسان ومارس عملية الزراعة :

هي: "حرفة البناء" وما يتبعها من "نجارة"، ومع تكاثر الناس واحتياجهم إلى من يؤمهم في صلاتهم، واحتياجهم إلى من يعالج مرضاهم، واحتياجهم إلى من يقوم بأعمالهم الأخرى، ظهرت الوظائف التخصصية.

ولا شك أن الوظائف التخصصية هي أساس من أسس الحضارة، إن تخصص الإنسان في مهنة معينة هو مدعاة للإبداع في هذه المهنة وهذه الحرفة وتطويرها جيلا بعد جيل حتى وصلنا إلى هذا العصر الحاضر الذي هو عصر التخصص الدقيق، والدقيق جدًا. **وكلما ظهرت تخصصات دقيقة أكثر كلما حصل تقدم علمي للبشرية بشكل عام.**

فـ "المدرسة" ضمن هذه المؤسسات التي نشأت بعد ارتباط الإنسان بالأرض، فأصبح الناس محتاجين لمن يعلم أبنائهم. ولا شك إن التعليم والتربية في الأصل وفي الأساس هي مسؤولية الوالدين، لكن حينما يكون الأب مشغولا بحقله، مشغولا بزراعته، والأم أيضاً مشغولة بأعمالها الخاصة في المنزل، أو في الحقل، أو في الرعي، هذا لا شك أنه يشغل عن التعليم، ويشغل عن التربية. وظهرت هذه الحاجة مع تكاثر الناس، وتكّون المجتمعات، فظهرت "المدرسة" كمؤسسة لتعليم الأبناء وتثقيفهم، وإعطائهم قدراً مناسباً من المعلومات مما يساعدهم على المحافظة على ثقافتهم، وحماية وحدتهم.

❑ **أول ظهور للمدرسة بمفهومها الحديث:**

يسطّر لنا التاريخ الإسلامي أن المدرسة بمفهومها الحديث أول ما نشأت: **في القرن الرابع الهجري، في بلاد ما وراء النهر،** في نيسابور، ثم بدأت تنتشر شيئاً فشيئاً حتى وصلت إلى بلاد فارس والعراق والشام ومصر، ثم انتشرت في شتى أنحاء العالم الإسلامي.

❑ **أهمية المدرسة في الإسلام:**

اهتم المسلمون بالمدارس كثيراً، وقد أُوقِفَت لها كثيرا من الأوقاف، إيماناً وقناعة – من كثيرً من المسلمين- بأهمية هذه المدرسة في تعليم الدين، ونشر الثقافة الإسلامية، ونشر العلم الشرعي، وحماية لعقائد الناشئة من التيارات والأفكار الضالة والشبهات، وما إلى ذلك. فلا شك أن المدرسة أخذت بُعداً هاماً، وتزداد هذه الأهمية للمدرسة حتى وقتنا الحاضر، فالمدرسة هي مكان الإعداد، ومكان التأهيل، ومكان الحفاظ على الهوية.

ودائماً نتساءل ويتساءل المجتمع ويتساءل الآباء والأمهات ويتساءل المسؤولون في المجتمع وفي الدولة حينما تحصل أي مشكلة أو خلل أو خطأ أو ظاهرة، **أين دور المدرسة؟** ما دور المدرسة تجاهه؟ حينما يكون هناك – لا سمح الله – ظهور للمخدرات، فأين دور المدرسة؟ حينما يكون هناك عقوق للوالدين، ما دور المدرسة في الحد من هذه المشكلة؟ حينما

يكون هناك تعريضاً لهوية المجتمع المسلم، وظهور آثار سلبية في المظهر، وفي الفكر- عند بعض الشباب أو الفتيات - أو ما إلى ذلك، ما هو دور المدرسة؟

المدرسة مسؤولة عن هذا، المدرسة يجب أن تتحمل دورها كاملاً تجاه هذه القضايا؛ لأن **المدرسة** باختصار هي: **مؤسسة اجتماعية أنشأها المجتمع، وينفق عليها بسخاء؛ حماية لأبنائه، وحماية له، وسعياً في نهوضه وتطويره ورُقيِّه.**

❑ **أهم الوظائف التي يجب أن تضطلع بها المدرسة**

١. **تحقيق التربية الإسلامية في المجتمع**

المجتمع بحاجة إلى استمرار عملية التعليم، والتربية بالتعليم، وعملية التربية لا يمكن أن تتوقف عند جيل من الأجيال، أو في وقتٍ من الأوقات، بل هي عمليةٌ مستمرة يجب أن تقوم بها الأجيال، ويقوم بها الراشدون مع صغارهم؛ حتى يحافظوا على التربية الإسلامية وتنشئة أبنائهم التنشئة الإسلامية الصحيحة.

قد يكون بعض الآباء مقصراً في تربية أبنائه، أو الأم مقصرة في تربية أبنائها، أو قد يكون هناك أطفال - لا شك أنهم في أي مجتمع موجودين بنسب متفاوتة- قد يكونوا فاقدين لآبائهم أو فاقدين لاهتمام آبائهم، فالمدرسة مسؤولة عن تربية هؤلاء وتنشئتهم التنشئة الصحيحة. فالمجتمع لا يمكن ولا يُقبل منه أن يتخلى عن أفراده أو عن ناشئته، حتى وإن قصر الآباء أو فُقِدوا، أو قصرت الأمهات أو فُقِدن فإن المجتمع بمجموعه يجب أن يتحمل مسؤوليته، وإلا فإن هناك فئةً - إذا لم تتلق التربية الصحيحة - ربما تتحول إلى الانحراف و الفساد. وقديماً قيل في الحكم القديمة التي سمعناها: "افتح مدرسةً ، تُغلِق سجنًا!"؛ لأن المدرسة هي المكان الحقيقي للإصلاح وتهذيب السلوك وإكساب الأفراد ثقافةً متشابهةً.

٢. **متابعة واستمرارية جوانب نمو التلاميذ بالتربية الإسلامية واستمرار تغذيتهم وعطاءهم**

الأسرة تتحمل بكاملها المسؤولية التامة عن الطفل حتى ست سنوات، وبعدها يستطيع أن يتكيف وأن يذهب إلى المدرسة، بعدها تصبح المدرسة ذات مسؤولية كبيرة، يجلس فيها الطفل في الأسبوع بين الثلاثين والأربعين ساعة! وهذه الساعات مخصصة ومقننة للتعليم والتهذيب بشكل مباشر. فلا يمكن للأسر والآباء (أو الأمهات) أن يقوموا بالدور الصحيح، فبقاء الطفل مع أقرانه في غرفة الصف -عشرين تلميذا، أو ثلاثين تلميذا، أو أقل أو أكثر- هذا يساعد على نمو أفكارهم، وتنشئتهم التنشئة الإسلامية الصحيحة، وإعطائهم معلومات، وإعطائهم ما يحتاجونه، وفق خصائص نموهم، ونمو المرحلة التي يعيشون فيها.

٣. ربط الحياة المدرسية بالمجتمع المسلم

المجتمع المسلم مجتمع عبر التاريخ وعبر الجغرافيا، يتعلم في المدرسة التلاميذ (والتلميذات) تاريخهم، وتاريخ الأمم الماضية، والتاريخ الإسلامي، وتداول الدول فيه، ويأخذون الدروس والعبر، ويعرفون نقاط القوة والضعف من بدء الخليقة ومن بدء قيام الدولة الإسلامية، وظهور الإسلام كرسالة خالدة، إلى هذا الوقت، لا شك أن هذا مما يعطيهم الفهم الحقيقي لواقعهم من خلال النظر في التاريخ، **ففهم التاريخ بشكل صحيح ومتكامل يعطي فهماً صحيحاً للواقع الذي يعيش فيه الفرد.**

وتساهم المدرسة في ربط التلميذ بالمجتمع المسلم من خلال ما يدرسه من خصائص وسمات المجتمع الذي يعيش فيه، والتعرُّف على الاحتياجات، والتعرف على المشكلات في المجتمع الذي هو فيه، ومن خلال التعاون والتكافل إذا احتاج

الأمر جمع تبرعات للمحتاجين والمتضررين، وهذا ممَّا يؤدي إلى التماسك.

كما تقوم المدرسة بدور في فهم الفرد للبيئة والمجتمع الذي يعيش فيه، كيف يعرف التلميذ طبيعة المجتمع السعودي بشكل كامل إذا لم يعرف مكونات هذا المجتمع، وتاريخه، وخصائصه الجغرافية، وميزاته، وموقعه الجغرافي، وما يحتويه من إمكانات، وما ميزه الله سبحانه وتعالى عن غيره من البيئات والمجتمعات.

كذلك يتعرف على المجتمع المسلم بشكل عام، على سبيل المثال: دول مجلس التعاون الخليجي - باعتبار أنها دائرة قريبة ومحيطة بنا- وما للجيران من حقوق، وما لنا عليهم من واجبات، وما إلى ذلك، وعلى المستوى العربي والمستوى الإسلامي وأيضا فهم العالم، وفهم ما يجري فيه، لا شك أن المدرسة تضطلع بتبصير وتوعية الفرد بما حوله. إن وعي الإنسان بهذه الأمور والقضايا مما ينمِّي شخصيته، وممَّا يعطيه بُعداً وأفقاً وقدره على أخذ العبر من الماضي، واستشراف المستقبل، وأخذ الدروس والعبر من الأزمات المعاصرة؛ حتى لا نقع في شي من المشكلات، أو ما إلى ذلك.

٤. الحفاظ على الثقافة الإسلامية وتراثها

من أهم الاستراتيجيات التي تضطلع بها المدرسة هي قضية: نقل الموروث الثقافي من جيل إلى جيل آخر، وتلقيح هذا التراث، والإضافة إليه. إن الموروث الثقافي ونقله ونشره والإطلاع عليه مسؤولية المدرسة، وما انتشر العلم بين الناس إلا من خلال هذه الإستراتيجية وهذه المهمة التي هي نقل الثقافة الإسلامية والعلوم الإسلامية والمعارف من جيل إلى جيل. إن هذه من أهم الاستراتيجيات التي تساعد على المحافظة على العلوم والمعارف الإسلامية ونشرها والإضافة إليها وتنقيح هذا الموروث مما قد يكون فيه من قصور وأخطاء - وهذا من طبيعة البشر-.

إن نقل الثقافة بشكل مُتَّحِد ومتوازن مما يساهم في إيجاد وتكوين مجتمع مترابط متماسك مترابط متقارب، فتماسك المجتمع يتم ويظهر ويتجلى من خلال تماسك أفراده، ويكون تماسك أفراده بتلقيهم ثقافة إسلامية متقاربة وتلقيهم معلومات متشابه مما يقارب في التفكير وفي النظرة للحياة، وكذلك يساهم في تكوين قيم واتجاهات وميول متقاربة، أو على الأقل إطار موحد يجتمع عليه أبناء المجتمع الواحد. فلا شك أن وجود تيارات داخل مجتمعٍ واحد متباينة ومختلفة وربما متضادة، هذا يشير بشيء من علامات الاستفهام على دور المدرسة!! لماذا ظهرت هذه الأشياء مع أن الثقافة والمنبع الذي يتعلمون منه هو منبع واحد؟

فلا شك أن المحافظة على الثقافة ونشرها مما يساهم في التماسك، وهذا يتجلَّى في الوظيفة الخامسة التالية.

٥. تحقيق التجانس والتماسك في المجتمع الإسلامي

إن وحدة التلقي، ووحدة المصدر، ووحدة المعلومات، أو تقاربها بشكل كبير، يساهم في وحدة المجتمع،

ومن أهم المؤشرات الدالة على قوة أي مجتمع ما: هو درجة تماسكه. فتماسك المجتمع وتقاربه فكرياً وقيماً واتجاهات وسلوكا ممَّا يساهم في تحقيق التقدم لهذا المجتمع. أما وجود تضاد، أو تصادمات، أو صراعات في داخل المجتمع الواحد، هو مؤشر على انشغاله عن التقدم والتنمية، وربما -لا سمح الله- إذا زادت الأمور عن حدها يؤدي ذلك إلى صراعات، وتتحول هذه من صراعات فكرية إلى صراعات أكثر خطورة! لذلك يجب أن تضطلع المدرسة بهذا الجانب وهو قضية تحقيق التجانس ودرجة عالية من التماسك الاجتماعي بما تزرعه من قيم وأخلاق واتجاهات متقاربة ومتشابهة في المجتمع الواحد، وهذه كلها أكبر وأعلى وأكثر خطورة من قضية تعليم ونقل المعلومات وتدريس المقررات! هذه قضايا التماسك الاجتماعي، ووحدة المجتمع، والمحافظة عليها، من الأمور الهامَّة جدا.

٦. الإسهام في الحراك الاجتماعي داخل المجتمع المسلم

الحراك الاجتماعي معناه: **أن هناك حركة داخل المجتمع - حركة تنافسية - تعتمد على اختيار الأفضل.**

والمدرسة بمفهومها الشامل هي من مؤسسات التنافس التي يتبين فيها المجد، ويتبين فيها الجدارات العلمية، وتبرز فيها القيادات العلمية، ولا شك أن من يصبر ويتحمَّل وتكون لديه قوة إرادة وصبر ومقدرة علمية سيحظى بتقدير اجتماعي.

هذا ما نقصد بالحراك الاجتماعي: أن يكون هناك إلغاء للطبقية القائمة على الثراء، أو القائمة على عناصر وراثية (كالعصبية القبلية، وما إلى ذلك). فالمدرسة تساهم في تطوير هذا الحِراك داخل المجتمع! كلٌ يأخذ مكانته في المنظومة الاجتماعية بناءً على ما يبذله من جهد وبناءاً على قدراته وطاقاته. ولا شك أن هذا -أيضاً- سيساهم بدرجة كبيرة في تحقيق التنمية الشاملة للمجتمع، ويساهم أيضاً في وضع آلية واضحة وطبيعية لتماسك المجتمع.

٧. تعريف الطالب بدوره الاجتماعي وبرسالته في المجتمع

إن الطفل يحظى بمكانة وبتميز بناءً على تفوقه، وبناءً على جدارته العلمية، ويأخذ دوره الاجتماعي بناءً على ما يجده من محفزات داخل المدرسة من اكتشاف قدرات واكتشاف مواهب وما إلى ذلك.

٨. الإصلاح التربوي والاجتماعي

فالمدرسة مسؤولة عن إصلاح أبنائها وما يحصل عندهم من أخطاء وانحرافات، ومسؤولة كذلك بتطوير مناهجها باستمرار؛ لتلافي الأخطاء، ومسئولة بتكميل ذلك من خلال ما يؤدى فيها من أنشطة وفعاليات، بل أيضاً إن للمدرسة مسؤولية اجتماعية من خلال مجالس الآباء وتوعيتهم ونشر رسالة للمجتمع المحيط بالمدرسة.

الحلقة (١٠)

❑ الفصل الرابع : الأصول العقدية والتعبدية والتشريعية للتربية الإسلامية

❖ الأصـول العقديـة[١]

الأصل: ما ينبني عليه غيره، وأصل الشيء مبتدأه، وما يُبدأ منه وما يقوم عليه غيره.

والتربية الإسلامية بما تتسم به من صفات الكمال والثبات والشمولية والواقعية تقوم على أصول ثابتة تساهم في نضج هذه التربية وثباتها ، والخير الذي يؤمَّل منها عند تطبيقها وتمثلها.

❑ **الأصول العقدية التي تقوم على التربية هي : أركان الإيمان الستة المعروفة**

① الإيمان بالله ② وملائكته ③ وكتبه ④ ورسله ⑤واليوم الآخر ⑥ وبالقدر خيره وشره

ولا يصح إيمان المؤمن إلا بها، كذلك هي الأصول التي تقوم عليها التربية الإسلامية، وذلك لأن التربية الإسلامية تهدف في مجملها إلى توسعة الإنسان الصالح وفق منهج الله وشرع الله ووفق ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من أوامر ونواهي، ولا شك أن من أهم ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تحتويه النصوص الشرعية كتاب الله سبحانه وتعالى وصحيح السنة النبوية هو ما يتعلق بـ "**الجانب العقدي**" وتقرير هذه العقيدة الصحيحة في النفوس، ولا تستقيم حياة الفرد سواء كان صغيرًا أو كبيرًا إلا بتحققها.

ولذلك فإن التربية الإسلامية ينبغي أن تنطلق وتعتمد على هذه الأصول الهامة جدًا:

---

[١] / ذكر الأستاذ ما نصّه : نبدأ أولاً بالأصول العقديـة ، وكأنه يشير إلى أنه يتبعة نقاط أخرى لكنها لم تأتِ

① الإيمان بالله سبحانه وتعالى بأنواع التوحيد الثلاثة : توحيد الربوبية ، توحيد الألوهية ، توحيد الأسماء والصفات

② والإيمان بالملائكة وما ذُكر لنا في النصوص الشرعية من أسمائهم وأعمالهم التي أوكلهم الله بها وطبيعتهم،

③ والإيمان بالكتب التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على رسله وخاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم وكتابه القرآن الكريم،

④ والإيمان بالرسل فهم عباد الله أرسلهم على فترات متفاوتة، كلما انحرفت البشرية عن مسارها أرسل الله سبحانه وتعالى لها رسولا ليصحح للناس أمر دينهم ويعيدهم إلى الحق،

⑤ والإيمان باليوم الآخر والمقصود به أن هذه الحياة التي نعيش فيها هي حياة نسبية قصيرة محدودة، تتميز بصفات من أهمها : أنها مقدمة للدار الآخرة وأنها دار عمل، والدار الآخرة هي الدار المطلقة التي لانهاية لها ولا تعب فيها ولا نصب لمن رزقه الله الجنة، ولا شك أن من لم يعمل في هذه الحياة الدنيا لن ينال في الآخرة إلا الخسران، والناس في اليوم الآخر ينقسمون إما أصحاب الجنة أو أصحاب الجحيم، نسأل الله أن نكون من أصحاب الجنة.

❖ الركن الأول : الإيمان بالله

لا شك أن الله خلق الإنسان وجعله سيدًا في هذه الحياة الدنيا، وكرَّمه بما أودعه من صفات الكمال، وأبرزها كمال العقل والقدرة على السيطرة على كثير من الكائنات الموجودة في هذه الحياة الدنيا، فهذا الإنسان أنزله الله إلى هذه الدار ليبتليه وليختبره، ولا شك أن الإيمان بالله سبحانه وتعالى والارتباط به هو من أول منطلقات العقيدة الإسلامية، وكما هو مقرر عندنا وثابت في معتقداتنا أن أول الأصول الإيمانية التي نعتقدها : الإيمان بالله.

❑ توحيد الألوهيــة

الإيمان بالله في جانب الإلوهية التي تعني الخضوع التام لله سبحانه وتعالى، وإفراده إفرادا تاما بالعبادة، وأن نعبده وفق ما طلب منا ووفق ما شرع لنا، وأن نربي أبناءنا على ذلك، نربيهم على صحة المعتقد بأن يعبد الله سبحانه وتعالى وتخلص له العبادة وألا يدعى إلا هو، وهو ليس بحاجة إلى وسيط ، وكثير من الآيات والأحاديث تحثنا على هذا، كما قال تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} البقرة آية (١٨٦). قريب ليس بحاجة إلى واسطة أو إلى أولياء وما إلى ذلك مما يوسوس به الشيطان ليضل به عباد الله، فلا شك أن هذا الإيمان هو أصل -الإيمان بالله إلـهًا- لاشك أنه أصل من أصول العقيدة الإسلامية تبنى عليه كثير من جوانبها.

❑ توحيد الربوبية

وهو الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى هو الخالق وهو الرازق وهو المصور وهو المدبر لهذا الكون وما فيه، لا شك أن هذا جانب مهم (جانب الربوبية)، الإيمان بتفرد الله سبحانه وتعالى بالخلق، وينبغي على المربي المسلم أبًا أو أمًّا أو معلمًا أو معلمة أن يربطوا جميع ما في هذا الكون بالإيمان، الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى هو الخالق والمدبر والرازق ومنزل الغيث وهو الذي ينزل الرحمة على عباده وهو الذي يبتليهم وهو المتصرف في هذا الكون، لا شك أن غرس هذه الأمور في ذهن الناشئة مما يربطهم بالله سبحانه وتعالى، ويخوفهم به ويقربهم منه، إذا استجاب الإنسان لما أمر الله سبحانه وتعالى به من عبادات وطاعات فإنه يقترب من الله، وإذا أعرض وعصى وأدبر فإن له من الله وعيد على ذلك وتهديد.

❑ الايمان بالأسماء والصفات

كذلك من جوانب الإيمان بالله : جانب الإيمان بأسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته التي سمى أو وصف بها نفسه أو

سماه أو وصفه بها نبيه صلى الله عليه وسلم، هذه الأسماء والصفات الثابتة نؤمن بها كما جاءت في النصوص الشرعية، ونعتقد أنها صفات مطلقة وصفات كمال، ولا مجال لتعطيلها أو تشبيهها بصفات المخلوقين وما إلى ذلك - تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا-، ولا شك أن التأمل فيها مما يقرب النفوس إلى الله سبحانه وتعالى ويعلقها به، فحينما يتذكر الطفل أن الله من صفاته "الكرم" ومن أسمائه "الكريم" فإنه يأمل ويتعلق بالله سبحانه وتعالى فهو أكرم الأكرمين ويرجو منه أن يتكرم عليه بالرزق في هذه الدنيا وبالسعادة والكرم الدائم الأخروي، كذلك "الرزق" من صفات الله سبحانه وتعالى، و "الرازق" من أسمائه، فتقرير هذا الاسم وهذه الصفة وغرسها في أذهان الناشئة يجعلهم يطلبون الرزق من الله سبحانه وتعالى، فلا تذل نفوسهم ولا تضعف ولا يصيبهم الصغار والهوان نتيجة لذلك.

❑ **أهم آثار الإيمان بالله تعالى (عقيدة التوحيد)**

١ / تنظيم حياة الإنسان النفسية

وذلك حينما يشعر بأنه يراه ويسمعه إله خالق عظيم قادر، فإنه يستشعر عظمة الله سبحانه وتعالى وتنتظم حياته كلما ازداد إيمانًا بالله؛ لأنه يلجأ إلى رب رحيم كريم تواب غفور وغيرها من الأسماء والصفات التي تجعل الإنسان يتعلق بربه.

٢ / توحيد نوازع الإنسان وطاقاته النفسية،

فلا شك حينما يشعر الإنسان أنه يستجيب لربٍّ واحد ويخضع لرب واحد ويطلب منه أن يعبد ربًّا واحدًا، والتشريعات التي جاءت من الله سبحانه وتعالى تتسم بالاتساق وعدم التعارض وعدم وجود الثغرات أو الخلل فيها، لا شك أن هذا مما يوحد نوازع الإنسان، وربما - ولله المثل الأعلى - تتبين هذه القضية حينما نلحظ أن الطفل يجد ثغرة في التربية بين أبويه، كأن يكون الأب يميل إلى الحزم في بعض الجوانب والأم لا تساعده في هذا الأمر، فنجد أن الطفل يستغل هذه الثغرات فإذا أراد أن يتحلل مما يؤمر به فإنه يستغل نفوذ الأم، ولا شك أن هذا يُنتج شخصية مزدوجة مرتبكة لا تسير على نسق واحد، ولا شك أن الطفل في هذه الأجواء سوف ينشأ متوترًا خائفًا قلقًا لا يعرف الحق من الباطل ولا الصحيح من الخطأ نتيجة لعدم اتفاق الأبوين عليه، كذلك من يتخذ شركاء من دون الله، لا شك أن كل شريك له أهواء ورغبات، ولا شك أن هذا يؤدي إلى تفتت وتشتت النوازع الإنسانية وتفتيت طاقات الإنسان وجهوده.

ولا شك أن الله سبحانه وتعالى أنعم علينا بوحدة المصدر والتلقي، ووحدة العبادة بجميع أنواع العبادة ابتداءً من السجود والصلاة والصيام والنحر إلى الالتجاء والدعاء وغيرها كلها لا يجوز بحال من الأحوال أن تصرف لغير الله، وهذا من تمام إكرام الله سبحانه وتعالى للإنسان أن جعله يتعلق به ويتبعه ويخضع له ولا يخضع لغيره من المخلوقات التي خلقها الله سبحانه وتعالى كما خلق هذا الإنسان، فلا يليق بإنسان عاقل أن يلتجئ إلى مخلوقات يشترك معها في هذه الصفات.

٣ / تربية العقل على البحث والمعرفة من خلال إدراك سنن الله سبحانه وتعالى في هذا الكون

دعوة إلى التفكر والنظر في ملكوت الله وأن الله هو الخالق والرازق والمهيمن على جميع أمور الحياة، ويقول الله سبحانه وتعالى في هذا المقام: {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} الأنعام آية(٥٩). يعني الأمور الدقيقة في هذا الكون يعلمها الله سبحانه وتعالى، وهذا التفصيل الدقيق في بيان مخلوقات الله سبحانه وتعالى هو إطلاق لهذا العقل لكي يسبح في ملكوت الله ولكي نتأمل ما فيه، وسنجد أن في كل شيء له آية تدل على أنه واحد.

٤ / تربية الإنسان على التواضع

حينما يشعر المؤمن ويؤمن ويعتقد ، وحينما يربي أبنائه ويعلم تلاميذه على أن الله سبحانه وتعالى متصف بصفات الكمال مطلع على كل شيء حتى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، هذه الدقة في إطلاع الله سبحانه وتعالى وفي علمه وفي سمعه لا شك أنها مدعاة للمؤمن أن يتواضع، فكلما زاد علما ومعرفة وزاد في اكتشاف هذا الكون وأسراره اكتشف أيضا أن قدرة الله سبحانه وتعالى هي أعلى وأعظم، وهذا مما يربي النفس المؤمنة على التواضع والخضوع والانحناء والسجود لله سبحانه وتعالى إيمانا به وتعظيما وإجلالا له.

٥ / التربية على الجد وعلى العمل بالمعايير والقيم الإسلامية،

فلا شك أن هذه الدنيا - كما أشرنا قبل قليل - هي دار العمل، ومن يعمل في هذه الحياة فسوف يجازيه الله سبحانه وتعالى وسوف يحاسبه محاسبة دقيقة، لا شك أن إحساس المؤمن وإيمانه بأن الله سبحانه وتعالى سوف يحاسبه على الذرة، وكما قال الرجل حينما سمع الآية: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)} الزلزلة. قال : "كفى بالذرتين واعظا"، مثقال ذرة: شيء متناهي في الصغر، من يعمله خيرًا سيجده ومن يعمله شرًا سيحاسبه عليه، ولا شك أن هذه تعطي الإنسان معيارًا وميزانًا، ولذلك نرى في حياتنا ومما نقرؤه من سير العلماء السابقين أنه **كلما زاد المؤمن إيمانا زاد ورعه وتقواه ومراقبته لله سبحانه وتعالى** حتى يبلغ درجة الإحسان الذي هو لاشك أنه درجة عالية، وكما عرفه في الحديث: (أن تعبد الله كأنك تراه)، الإنسان حينما يكون في حضرة الناس يكون له سلوك وتصنع وتهذيب معين، وفي الخلوة ربما يتحلل من كثير من القيود، والبالغ لدرجة الإحسان هو الذي يعمل العمل أمام الناس أو في عدم حضورهم لأنه يعبد الله كأنه يراه ، ولا شك أن التربية الإسلامية تنطلق من هذه المنطلقات المرهفة التي تبني في نفوس الناشئة دقة المعايير والالتزام بالقيم الإسلامية الحقة وكبح جماح النفس عن شهواتها، وضبط السلوك الضبط الإسلامي الصحيح.

٦ / إيجاد الطمأنينة في النفس

فلا شك أن المؤمن حينما يتعلق قلبه بالله سبحانه وتعالى وحينما يتفكر ويعلم أن الله هو الخالق القادر الرازق السميع البصير المستحق للعبادة هذا جانب، والجانب الآخر أن الله هو المستحق للتفرد التام بالعبادة، وكما ورد في الحديث: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك من أشرك معي غيري تركته وشركه)، من يشرك مع الله غيره فإن الله سبحانه وتعالى سيتركه لمن أشرك به لأنه سبحانه هو أغنى الشركاء، ولا شك أن هذا مما يلقي في النفس الطمأنينة والثقة و الراحة والالتجاء وطلب المغفرة وطلب المثوبة وطلب المعونة والسداد وتفريج الكرب من الله سبحانه وتعالى.

٧ / الشعور بتمام العبودية لله

الإنسان بطبيعته محتاج لأن يخضع ، فإذا لم يخضع لله سبحانه وتعالى خضع لغيره ، ولا شك أن عبادة الله والخضوع له هو درجة الكمال الإنساني ؛ لأن من لم يخضع لله خضع لنزواته ولشهواته ولشياطين الإنس والجن.

الحلقة (١١)

❖ الركن الثاني : الإيمان بالملائكة

الملائكة هم جند من جند الله خلقهم الله سبحانه وتعالى وسخرهم لأعمال ومهمات معينة كلَّفهم بأدائها، وهم عباد مكرمون يطيعون الله ولا يعصونه، وعددهم كثير، كما قال تعالى: {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ

رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا} غافر آية (٧). فهؤلاء العباد الذين خلقهم الله سبحانه وتعالى لأداءمهمات والقيام بواجبات معينة كرَّمهم الله سبحانه وتعالى، ومن أكرمهم : "جبريل عليه السلام" الذي كلفه الله بإنزال الوحي على الرسل وخاتمهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فقد كان جبريل عليه السلام ينزل بالوحي إلى محمد صلى الله عليه وسلم، فهؤلاء العباد يسبحونه ويعبدونه ويستغفرونه، خلقهم لمهمات كثيرة: بعضهم أوكل بالغيث، وبعضهم بقبض الأرواح، وإسرافيل بنفخ الصور إيذانا بحلول يوم القيام والبعث.

فلا شك أن الإيمان بهؤلاء المخلوقين ركن من أركان الإيمان بالله سبحانه وتعالى، ولا يصح إيمان مؤمن إلا به، ونحن في التربية الإسلامية ينبغي أن نربي أبناءنا على الإيمان بهم والاعتقاد الجازم بوجودهم وفق ما وصل إلينا من النصوص الشرعية، وربما لحكمة تعليمية تربوية ظهر بعضهم بصورة رجل كما هو في الحديث المشهور الذي جاء في موقف تربوي تعليمي، جاء في صورة رجل شديد سواد الشعر شديد بياض الثياب لا يُعرف وأخذ يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم ثم انصرف، فكما هو معروف في الحديث قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)، نوع من التعليم الحواري والنقاش والتوجيه غير المباشر، فتربية الناشئة على الإيمان بهم هو أمر مهم جدا.

ولعل من أهم ما يتعلق بهذا الجانب التربوي الهام هو : تربية الطفل على الإيمان الجازم بأنه مكلف، لكل إنسان أربعة من الملائكة يتعاقبون، اثنان بالليل واثنان بالنهار، يسجل أحدهما الأعمال الصالحة والآخر يسجل ما عمله الإنسان من أخطاء، غرس هذا الإيمان في نفس الطفل من الصغر حينما كان في مرحلة الاستقبال الواعي وغير الواعي وتلقي الأوامر من الوالدين بالقبول واستقبال العقيدة بدون مناقشة ولا تمحيص، غرس هذه العقيدة في نفوس الأطفال لاشك أنه يربيهم على مراقبة الله سبحانه وتعالى والخوف من محاسبته واستشعار الأخطاء التي ارتكبها والتوبة والاستغفار منها.

❑ **الآثار التربوية للإيمان بالملائكة :**

١ / تعويد النفوس على حب النظام والترتيب

فالإيمان بأن الله سبحانه وتعالى خلق أعدادًا كبيرة من الملائكة يعبدونه ويخضعون له ويستغفرونه ويقومون بما أمرهم الله سبحانه وتعالى من مهمات وواجبات، لا شك أن هذا يغرس في نفس المؤمن حب النظام والترتيب وضرورته في هذه الحياة.

٢ / تمجيد الخالق سبحانه وتعالى والاستجابة لأمره والخضوع له واستغفاره

والإقتداء بالملائكة في ذلك، فهم لا يفترون من الدعاء وذكر الله، فهم في حالة ذكر واستغفار ودعاء للمؤمنين، لا شك أن هذا مما يغرس في النفس تمجيد الخالق سبحانه وتعالى وتسبيحه واستغفاره اقتداءً بهؤلاء الملائكة الذين خلقهم الله سبحانه وتعالى لعبادته، ولا شك أن كثرتهم الكاثرة دليل على عظمة خالقهم جل وعلا، و إنه لم يخلق مخلوقًا عبثًا فهذا أثر مهم من آثار الإيمان بالملائكة.

٣ / التربية على الشعور بالكرامة

كرامة الإنسان، وتجنب الشرور والآثام، حينما يشعر الإنسان أن معه أربعة من الملائكة يستحي من هذا العدد الذي كلفهم الله سبحانه وتعالى بمراقبته وتسجيل وتدوين ما يقوم به الإنسان من أعمال، فلا شك أن هذا فيه إشعار بالكرامة وفيه إشعار بالمسؤولية الكبرى التي تحمَّلها هذا الإنسان بناءً على ما كلفه الله سبحانه وتعالى به من تكليف، وما وهبه من عقل ومقدرة على التصرف وحسن اختيار، كذلك كلما ازداد المؤمن إيمانا واستشعر هذا الإيمان – الإيمان

بالملائكة- لا شك أن هذا مدعاة للبعد عن المعاصي وعن ارتكابها، وإلا ما معنى أن يكون مؤمنا بالملائكة بوجودهم وحضورهم معه ثم يرتكب بعض الآثام والأخطاء.

❖ الركن الثالث : الإيمان بكتب الله المنزلة

أرسل الله سبحانه وتعالى العديد من الرسل وأنزل إليهم العديد من الكتب السماوية كالتوراة والإنجيل وصحف إبراهيم والزبور وغيرها من الكتب التي أنزلها الله على عباده ، لكن هذه ما ذكر لنا، وأكمل هذه الكتب وأثبتها وآخرها هو القرآن الكريم الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وجعله الله سبحانه وتعالى متصفا بصفات مهمة تتناسب مع رسالة الإسلام الخالدة المستمرة لكل زمان ومكان وجيل، بعد أن نضجت البشرية وكثر توثيق المعلومات وسهولة تداولها ووصلت لمرحلة النضج -والله تعالى أعلم- ختمت الرسالات بهذه الرسالة الخالدة فقد دونت وحفظت وتكفل الله سبحانه وتعالى بحفظها بحفظ القرآن الكريم، وأيضا هو بمتناول البشرية معجزة مستمرة إلى أن تقوم الساعة.

❑ **السمات التي يتسم بها القرآن الكريم عن غيره من الكتب السماوية:**

١ / أنه معجزة

وإعجازه مرتبط بوجوده، فهذا القرآن تحدى الله سبحانه وتعالى أن يأتي أحد بمثله، ولا شك أن هذا هو قمة الإعجاز بلفظه ومعانيه وفي دقة المعلومات التي يتضمنها وعدم تناقضها وعدم قصورها، هذا لا شك أنه معجزة خالدة إلى أن تقوم الساعة، ونحن نرى مع فشو العلم وكثرة العلماء والباحثين والتقدم العلمي لم يستطع أحد أن يحاول أن يأتي بآية ! ولو حاول فلن يستطيع ! فلا شك أن هذا من جوانب عظمة الإسلام وعظمة القران الكريم.

٢ / أنه عالمي الخطاب

فالخطاب أنزل ابتداءً إلى مجتمع مكة والمدينة مخاطبا أهل تلك الفترة ابتداءً، ولكن خطابه عام شامل لكل الأمم والأجيال اللاحقة في شتى البقاع.

٣ / أن الله سبحانه وتعالى تكفل بحفظه

فهو كتاب محفوظ من الخطأ ومن الزلل ومن التحريف، فقد تواتر نقله كتابة ومشافهة عبر الأجيال إلى وقتنا الحاضر، وهذا من جوانب إعجازه وعظمته، عدم وجود اختلاف فيه بين النسخ والروايات.

٤ / الشمولية

شامل لجميع نواحي الحياة، كامل بتوجيهاته وما يحتويه من مبادئ ومعتقدات وشرائع.

٥ / أنه ناسخ لجميع الكتب السابقة

فهو الكتاب الأخير المنزل الذي جعله الله سبحانه وتعالى للبشرية رحمة وهدى، ولا يقبل من أحد أن يتعبد الله أو يتلو أو يقرأ في غيره من الكتب التي تعرضت للتحريف والتغيير والتبديل والزيادة والنقصان، وحتى لو افترضنا أنه لم يحصل فهي منسوخة بالقرآن. ولا شك أن التربية القرآنية هي أكمل أنواع التربيات.

❑ **الآثار التربوية للقرآن:**

١ / أنه تربية على الأخلاق

{ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤)} القلم. فالتمثل بالأخلاق الفاضلة لاشك أن كثيرا من الآيات تدعو إلى ذلك وتحث عليه، ومن ذلك: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} الإسراء آية (٩). للتي هي أحسن في الأخلاق وفي شتى مناحي الحياة.

٢ / التربية على التفكر والتفكير

كثير من الآيات تحث على التأمل وإعمال الفكر والنظر في ملكوت الله وفي النفس {وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١)}الذاريات. دعوة للتأمل والتفكر، ولذلك من آداب قراءة القرآن الكريم أن تكون قراءة بتدبر، والتدبر يعني : التأمل واستنباط المعاني واستيعابها استيعابا صحيحا كاملا، ولذلك يُنهى في القرآن الكريم عن الذين لا يتدبرون القرآن والذين يقرؤونه هذًّا بألسنتهم وليس بأفئدتهم، فيقول الله سبحانه وتعالى:{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤)} في مقام الردع والزجر والنهي عن هذا السلوك الغير مرغوب، فلا شك أن قراءة القرآن بتأمل وتدبر فيها إعمال للفكر وتأمل به وإشغال للتفكير في أمور خيرة -في نور القرآن الكريم-، وإلا سوف ينشغل بالوسوسة والهموم والأفكار الرديئة و ربما الخاطئة !

٣ / أنه يحث ويدعو إلى إعمال الفكر وطلب الحجة والدليل والبرهان

وهذا النوع من الآثار الإيجابية للقرآن الكريم هو ما أَحْدَثَ نَقْلَةً عند المسلمين الأوائل، فقد كان في السابق تصديق الأشخاص نتيجة الثقة فيهم، أما التربية القرآنية التي يجب أن ننشئ صغارنا عليها هي : طلب الحجة والدليل والبرهان، فهذه القضية مهمة وورد فيها أكثر من آية ومقام ولفظ، من ذلك قوله تعالى: {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} دائمًا الذي يطلب الأدلة من خصمه ويحث على طلب الأدلة هو صاحب الموقف المتماسك، ولذلك دائمًا يجب أن نربي أبناءنا على أن يطلبوا الأدلة، ولا شك أن هذه الدعوة القوية في هذه الآية على طلب الحجة تعطي الإنسان ثقة في معتقداته، ولا شك أن التربية عليها مما يقوي النفس ويربطها بخالقها.

٤ / التربية على التأني وعدم الاستعجال

ويمكن أن نستنبط هذا الأثر الجميل من مواقف كثيرة في القرآن الكريم، الله خلق السموات والأرض في ستة أيام، وهو قادر على أن يقول كن فيكون، فالتأمل في هذا حكمة ! تحديدها بهذا العدد الله سبحانه وتعالى أعلم به، أيضا هذا القرآن نزل منجّمًا مفرّقًا في ثلاث وعشرين سنة، وكما هو معروف أن كثير من الآيات تنزل في مواقف تعليمية وتربوية لكي يتعلم الناس ويتربوا بالتدريج، فهذه الفترة الطويلة التي مكثها القرآن في النزول تربي النفس على عدم الاستعجال في اتخاذ القرارات وإنجاز الأعمال، فالأعمال المهمة تحتاج إلى وقت وإلى إعمال الفكر، وأيضا في جانب التعليم حينما نُعلِّم وندرس ونربي يجب أن نعطي الطلاب والأطفال بما هم مؤهلين له وماهو باستطاعتهم حتى لا يملّوا وحتى لا يزاحم العلم الجديد العلم القديم فلا يرسخ بالنفس.

٥ / تعويد اللسان على الفصاحة

واستمعوا إن شئتم إلى حفظة كتاب الله ! كيف تخرج الكلمات والألفاظ من أفواههم ! تخرج قوية دقيقة من مخارجها بدرجة رائعة، ولا شك أن اللغة العربية لغة البيان والفصاحة، ومن نعم الله سبحانه وتعالى أن القرآن الكريم حفظ هذه اللغة، يقول تعالى: {حم (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢)} الدخان. وقال في آية أخرى: {لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ}، فلا شك أن هذا مما يعزز الإيمان في النفوس.

٦ / تربية العواطف الربانية عند التلاوة

فيجب أن نربي أبناءنا ونعودهم أن يستشعروا الآيات التي يقرءونها، فإذا مرّوا بآية وَعْدْ تنبثق الأسارير وتنطلق، وإذا جاءت آية وَعِيْدْ تقشعر الجلود وتخاف من عذاب الله وتخشاه، وفي هذا آيات كثيرة منها قوله تعالى: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ

يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ} الزمر آية (٢٨)، فقضية التحكم بالمشاعر والعواطف الإيمانية هو من الآثار الهامة للقرآن الكريم.

٧ / تزكية النفس والضبط الاجتماعي

فكثير من الآيات بما تحتويه من توجيه لحقوق الوالدين وحقوق الجيران وآداب الدخول والاستئذان وما إلى ذلك،كلها مما تساهم في الضبط الاجتماعي للإنسان.

الحلقة (١٢)

❖ الركن الرابع : الإيمان بالرسل

التصديق بأنهم عباد خلقهم الله سبحانه وتعالى وشرفهم وكرمهم بأن أوكل إليهم تبليغ رسالة الله سبحانه وتعالى ودعوته إلى الناس، ولا شك أن هذا من نعمة الله سبحانه وتعالى حتى لا يحصل للبشرية تيه أو ضياع أو انحراف عن المسار الذي خلقه وأمر به وشرعه لعباده، فكلما تقادم العهد أو اتسعت رقعة البيئة التي يعيش فيها الإنسان أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل.

وقديما حينما كانت البلاد متباعدة ووسائل الاتصال محدودة ربما أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل أو الأنبياء في وقت واحد، وربما تعاصروا وربما كانوا في مكان واحد وهذا لحكمة يعلمها الله سبحانه وتعالى بحسب الظروف التي مرت بها الحياة البشرية.

وحينما نضجت البشرية وحصل تقدم حضاري وما يتعلق بالتوثيق والضبط ووجود السند وتسلسل المعلومات وحفظ الرجال للمعلومات جيلا بعد جيل وأيضا تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ الدين وحفظ الشرائع، ختم الله سبحانه وتعالى الرسالات إلى هذه البشرية، فمنذ أن انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جوار ربه وإلى الرفيق الأعلى انقطع الوحي من السماء، ولكنه بقي موجودًا محفوظًا خالدًا كما أنزل يتلوه الناس آناء الليل وأطراف النهار، فلا شك أن الإيمان بالرسل صلوات الله وسلامه عليهم وما قاموا به من دعوة لأممهم وما قدموه من تضحيات بأنفسهم وبأموالهم في سبيل الله سبحانه وتعالى لا شك أن الإيمان بهذا من أركان الإيمان الأساسية التي لا يصح ولا يقبل إيمان عبد إلا به.

ونحن في التربية الإسلامية يجب علينا أن نربي أبناءنا على الإيمان بالرسل، فندرس سيرهم، ودراسة سير الأنبياء من الأمور المهمة جدًا، ففيها صفات الكمال، وفيها صفات التضحية والبذل والإعانة من الله سبحانه وتعالى ورحمة الله بعباده وأن الله ينصر عباده المؤمنين في كل زمان وفي كل عصر، فينبغي أن نعلم وندرس الناشئة هذه السير العطرة، سير الأنبياء والمرسلين صلوات ربي وسلامه عليهم، فإن ذلك مما يوجد القدوة في نفوس الناشئة، ولا شك أن النفس البشرية وخاصة في مرحلة الطفولة والشباب تبحث عن قدوة، فإذا لم توضع أمامها وتربى على القدوة الصالحة الناصحة التي هي مجال حقيقي للاقتداء ، لا شك أن هذا سيجعل فرصة سانحة للاقتداء بما عدا ذلك من شتى فئات الناس، ممن اشتهروا كما هو متعارف في بعض وسائل الإعلام مما يسمى "نجوم" !.

وهذه من الآثار التربوية الهدامة نتيجة للاقتداء والتقليد وتتبع تصرفات وسلوك كثير من الممثلين والممثلات وغيرهم ناتج عن وجود الفراغ في القدوة وعدم ملئه بالقدوة الصحيحة سواء كانوا الأنبياء والمرسلين أو غيرهم. فيجب على المربي أن يركز على هذه الجوانب فإنها مما يعمق الإيمان بالنفس ويعمق وحدة المعتقد في جميع رسالات المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم، كلهم يدعون إلى عبادة الله سبحانه وتعالى وإخلاص العبادة له وعدم جواز إشراك غيره معه في العبادة.

وخاتم الأنبياء والمرسلين رسولنا وقدوتنا وحبيبنا، وهو إمام المرسلين وهو الذي اصطفاه الله على جميع الخلق، هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وهو آخرهم وأفضلهم، وسيرته مجال للاقتداء في جميع الجوانب، فهو الأب، فالأب يقتدي بالرسول صلى الله عليه وسلم في سلوكه وفي تصرفاته، كيف كان صلى الله عليه وسلم يتعامل مع بناته ومع أقاربه ومع أبناء بناته، فكان يرفق بهم ويرحمهم، كيف كان صلى الله عليه وسلم كجار قدوة لجيرانه، كيف كان يتعامل مع جيرانه ويحسن إليهم ويتحمل أذاهم، كزوج كيف كان يتعامل مع زوجاته ومع أسرته ومع خدمه، هذا لا شك أنه مجال هام للاقتداء، أيضًا كمعلم، وقد كان صلى الله عليه وسلم معلم، يعلم صحابته ويرشدهم ويدلهم على الخير ويعلمهم القرآن الكريم ويعلمهم ما ينزل إليه من وحي ويعلمهم ما يحتاجون إليه من أحكام ويوجههم عندما يحصل عندهم أخطاء، فهو إمام المعلمين وقدوتهم صلى الله عليه وسلم، وكقائد ومسؤول إداري أيضا هو مجال للاقتداء، بل إن سيرته بكاملها هي مجال للاقتداء.

❑ **الآثار التربوية للإيمان بالرسل، والرسول صلى الله عليه وسلم بوجه خاص :**

١ / التربية على الطاعة وحسن الاقتداء

فنحن ملزمون ومتعبدون بالاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم وباتباع سنته وبالاستجابة لما يأمر به، ومحبته، والشعور بما امتن الله سبحانه وتعالى علينا به من إرسال هذا الرسول الأمي الذي جعله الله سبحانه وتعالى سببًا لإخراج الناس من الظلام ومن الجهل، فهذا حقيقة جانب مهم وهو ما يتعلق بجانب الطاعة، وجوب الطاعة ووجوب الاقتداء.

٢ / التربية على الأخوة أو وحدة الإنسانية بشكل كامل

فالإنسان بطبيعته مكرم، وكرمه الله سبحانه وتعالى بخلقه وبما أعطاه من عقل، وأيضا له حق بالتكريم، وهذا الجانب جانب مهم، قضية الشعور بالوحدة الإنسانية وأنه مهما اختلفت... فإن هناك رابط إنساني نستدل منه على وجود روابط مشتركة في الطباع وفيما أودع الله سبحانه وتعالى في النفس الإنسانية من سلوك، ولا يعني هذا أيضا أن هذه الرابطة يمكن أن تؤثر على غيرها من الروابط، فليس معنى اتصافنا بصفة الإنسانية أننا نلغي رابطة الدين ورابطة العقيدة، لكن يجب أن نعترف أن الإنسانية والإنسان بما خلقه الله سبحانه وتعالى عليه فإن له حقوق.

وأيضا مما يؤكد الجانب الإنساني أن من حكم الله سبحانه وتعالى التي يجب أن نربي أبناءنا وناشئتنا عليها أن الأنبياء والمرسلين هم بشر كسائر البشر في خلقهم وفي طبيعتهم ولكن الله سبحانه وتعالى عصمهم وشرفهم بما كلفهم به، يقول الله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥١) وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (٥٢)} فقضية صفات الإنسانية (الصفات البشرية) -أن الإنسان بحاجة إلى الأكل والشرب والراحة والنوم وغيرها من الاحتياجات الإنسانية- هذه طبعا مما يتصف به الأنبياء والمرسلين صلوات ربي وسلامه عليهم. وأيضا تسلسل هذه البشرية وكثرة الرسل الذين أرسلهم الله سبحانه وتعالى ووجود الرابطة فيما بينهم وأن البشرية جاءت وحدة واحدة وأول الرسل هو أبوهم آدم عليه السلام، هذه كلها مما يعطي شيئا من الوحدة التي تعتبر حدا معينا للتعايش بين الناس بناء على هذه الرابطة، لكن دون تأثير على الروابط الأخرى.

ولا يعني هذا كون الإنسان إنسانًا أن له الرفعة والسمو المطلق على سائر الكائنات، فكثير من الناس ربما يسلك سلوكًا مهينًا يجعله ينزل إلى أقل من درجة الحيوانية، لكن نحن نتكلم بشكل عام، فالناس عندهم نوع من التفكير، رابطة التفكير، التحليل المنطقي السليم، تقبّل فطرته، تقبل خلقته التي خلق الله سبحانه وتعالى الناس عليها.

٣ / التربية على الفطرة والكمال البشري

فهذه هي رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم، ودعوة الإسلام هي دعوة الفطرة، متجاوبة مع الفطرة (كل مولود يولد على الفطرة)، فالإسلام هو دين الفطرة وهو أيضًا دين الكمال الذي يشمل ويغطي جميع جوانب الحياة، ولو تأملنا هذا الكمال وهذه الشمولية في طبيعة الدين الإسلامي الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم لوجدنا أنه بالرغم من كثرة الهجوم وما تعرضت له الدعوة الإسلامية وما تعرضت له قيَمْ الإسلام من حروب شعواء استمرت قرون، لكن مع هذا نجد أن هذه التعاليم صامدة وثابتة في نفوس الأجيال جيلاً بعد جيل، بل إنه كلما كانت الهجمة على هذه القيم والمبادئ والتعاليم شرسة كلما كانت أكثر ثباتًا واستقرارًا.

٤ / العالميـة

عالمية هذه الدعوة، فدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم دعوة عالمية (كلكم لآدم وآدم من تراب، لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى) شعارات تلغي جميع الروابط، ودعوة للعالم، وصلاحية هذه الرسالة لكافة الأجيال وكافة الأمم مما يؤكد هذا المفهوم.

❖ الركن الخامس : الإيمان باليوم الآخر

الإيمان بيوم القيامة وما يحصل بعد البعث من جزاء ومن محاسبة، يحاسب الله سبحانه وتعالى الناس على أعمالهم وعلى ما اقترفوه، من عمل صالحًا فله الجنة ومن عمل سوءًا فله النار، لا شك أن هذا من مقتضيات العدالة الإلهية.

ولا شك أن في هذه الدنيا هناك أخطاء ترتكب، وهناك ظلم، وهناك جور، وهناك أحيانا خفاء للحقيقة يترتب عليه نوع من الظلم الذي قد يقع على بعض الأشخاص أو على بعض الناس أو على بعض الفئات، قد يكون ظلما متعمدا، وقد يكون خطأ غير مقصود ناتج عن عدم توفر معلومات، أو نسبية المعرفة، فيتعرض ناس إلى ظلم والى خطأ وعدم عدالة، ولا شك أن العدالة في هذه الحياة الدنيا مطلب وبها تقوم الحضارات ولكن يبقى هناك قصور في الأدلة والإثباتات، ولكن مما يريح الإنسان المسلم أن هناك عدالة مطلقة، وما لم يقتص منه أو يأخذ حقه في هذه الدنيا فإنه سيأخذه في الآخرة، هذا مما يريح الإنسان ويزيل الغبن في النفوس، وبهذا تتحقق العدالة.

هذه دار ضنك وكدر وعمل ولأواء، والآخرة هي دار الجزاء والحساب والمحاسبة، ولا شك أن تربية الناشئة وتربية الأطفال على هذا الفهم الإيماني العميق يجعل تفكير الإنسان و نظرة الإنسان إلى هذه الدنيا بمقدار معين ولا يعطيها الكمال المطلق، ولذلك نجد الإنسان إذا أصيب بمرض أو أصيب بهضم حق فإنه يرفع يديه إذا كان مريضا يسأل الله الشفاء أو أن يأجره الله في مصيبته، وإذا ظُلم يرفع يديه بأن يدعو الله أن ينتقم له ممن ظلمه، وهو يعلم بقدر إيمانه -إذا كان مؤمنا صادقا- أنه لن يضيع له حق، إذا لم يأخذه في هذه الحياة الدنيا فسوف يأخذه في الآخرة، هذا التوازن بين الحياتين يؤدي إلى توازن إيجابي في حياة المسلم.

❑ الآثار التربوية الرائعة للإيمان باليوم الآخر:

١ / التربية على الخوف والشعور بالمسؤولية

الخوف من الله سبحانه وتعالى ومما أعده لعباده، وكثير من النوازع الداخلية والدوافع الداخلية هي الخوف مما بعد الموت، إذا كان الإنسان مؤمنا وهم بارتكاب خطيئة أو بظلم أحد أو أكل مال بالباطل، فإنه يستشعر يوم القيامة وأنه سوف يحاسب على هذا الشيء، فإما أن يرتدع، وإما أن يتوب، هذا إذا كان مؤمنًا، وإلا سوف يحاسب على عمله.

٢ / التحلي بالأخلاق الفاضلة

لأن هذه الحياة الدنيا ليست مجالاً للتسابق والتنافس المطلق، هناك ما يتعلق بالأريحية والكرم والإيثار ، هذه كلها من أهم ما يقدمها الإنسان ذخرا له يوم القيامة، التحلي والتعامل مع الآخرين بأخلاق كريمة وفاضلة وحسن معاملة.

٣ / ضبط الغرائز والدوافع

الله سبحانه وتعالى جعل في الإنسان غرائز "حاجات" ، الحاجة إلى الأكل، وإلى الشرب، وإلى درجة مناسبة من الحرارة، وإلى النوم، الحاجة إلى الاجتماع مع الآخرين، هذه الحاجات أشبه ما تكون بمحرك السيارة الذي يدفعها للانطلاق والتحرك، ولكن هناك جوانب أخرى وهي قضية الإيمان باليوم الأخر أشبه ما تكون بالمكابح أو الفرامل التي تضبط حركة الإنسان،فإشباع هذه الغرائز هو مطلوب ولكن بضوابط وبتهذيب وبأُطر معينة.

٤ / قوة الإرادة والعزيمة

ابتغاء ما عند الله سبحانه وتعالى، فالإنسان يصبر – يتحمل - يُعفّ نفسه - يصوم في رمضان - يخرج للجهاد في سبيل الله – يقوم الليل - يجاهد نفسه، يقوم بجميع الأعمال ابتغاء مرضات الله، فهذا الإيمان يولد طاقة وعزيمة وقوة إرادة؛ لأنه يعرف أن هذه الأعمال وهذا الصبر والعزيمة ستؤدي إلى نتائج إيجابية سينال ثمارها.

الحلقة ١٣

❖ الركن السادس : الإيمان بالقدر خيره وشره

لا يستكمل إيمان العبد حتى يعتقد جازماً أن كل ما جرى له ويجري له في المستقبل إنما ذلك بقدر الله وبتقديره وبقضائه، وأن ذلك قد كتبه الله تعالى في الأزل يوم خلق السماوات والأرض، والإيمان بما قدَّر الله سبحانه وتعالى من أمور حسنة ومن أمور قد يراها الإنسان سيئة، لا شك أن الإيمان بهذا والاعتقاد بأن كل ما كتبه الله سبحانه وتعالى للإنسان خير هو أمر مرتبط بـ **التربية الوجدانية والتربية النفسية** والتعلق بالله سبحانه وتعالى والرضا والراحة والسكينة والطمأنينة، وكثيراً من جوانب التربية النفسية التي يجب أن يربى عليها الأبناء والبنات مرتبطة بهذا الجانب المهم والعظيم.

ولعل من الأصول في هذا الجانب حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له). هذا الحديث من الأحاديث الأساسية فيما يتعلق بالتربية الإسلامية وما يتصل بـ **تأثير الإيمان بالقضاء والقدر على الجوانب التربوية** التي يجب أن ينشأ الأطفال والناشئة ذكوراً وإناثاً عليها، فيرتبطون بالله سبحانه وتعالى، ويوقنون يقيناً جازماً بأن كل ما يحصل لهم قد كتبه الله سبحانه وتعالى ، وعليهم أن يحتسبوا، ولا شك أنه حينما يمر الإنسان بمواقف يكرهها أو يرى فيها ظاهراً شيئاً سيئاً ، ويُؤمن بهذا ويرضى به ، لا شك أن هذا مما يؤجر عليه من ناحية، ولا شك أن هذا مما يعيد النفس الإنسانية لاستقرارها ولثباتها.

❑ الآثار التربوية للإيمان بالقضاء والقدر :

١ / تعويد النفس الإنسانية على العزيمة في الأمر وعدم التردد

لا شك أن الأخذ بالأسباب لا يتنافى مع الإيمان بالقضاء والقدر، ولكن الإنسان إذا درس الظروف ودرس الملابسات، واستشار ذوي الخبرة، واستخار الله سبحانه وتعالى وبَدَا له أن أمراً ما فيه خير وعزم عليه، ينبغي له أن يبتعد عن التردد

ويبتعد أيضاً عن النكوص إلى الخلف، فإذا مشى مسافةً وظهر له أمراً قد لا يسُرُّه ينبغي له أن لا يفتح باب "لولا ، ولو فعلت ، ولو رجعت ، ولو اتخذت الأمر الفلاني" ، لا شك أن هذا التردد مما يفتت العزيمة، وأنه أيضاً من أسباب كثير من الأمراض النفسية التي تصيب النفس البشرية -كثرة الوساوس- وكثرة الترددات- وعدم القدرة على اتخاذ القرار كله تخوفاً وتحوطاً-.

هذه الحياة من طبيعتها أن فيها ما يسُرّ وفيها ما يضر وفيها ما تحب النفس وفيها ما تكرهه، وينبغي للإنسان أن يوطن نفسه ويعودها على هذا الشيء ويربي أبناءه ويربي تلاميذه على هذا الشيء، ولا يتوقع دائمًا أن تتحقق أشياء جميلة وأشياء تسره، ولكن أيضاً يعودهم على العزيمة وعلى الإصرار وعلى الصبر، وعلى أخذ العظة والعبرة من المواقف والخبرات السابقة، الخبرة التي يمر بها المرء أو التي يمر بها المجربون وأصحاب الخبرات.

٢ / الثقة بالله سبحانه تعالى وعدم الندم على ما فات،

يثق انطلاقاً من الحديث الذي أشرنا إليه (عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير) ما يسرّ وما يضرّ، ويقين المؤمن بهذه الحقيقة وتربية الناشئة و طفال والتلاميذ على هذا الإيمان مما يولّد : الثقة ، وهي عكس التردد والضعف والنكوص والخور، وأيضاً عدم الندم على ما فات فيما يتعلق بالقرارات، وليس المقصود بهذا ما يتعلق بارتكاب الذنوب أو ما يتعلق بوجوب التوبة، بل في اتخاذ القرارات، عندما يتخذ الإنسان مثلا قراراً دنيويا، عندما يقدم على زواج أو يقدم على عمل معين أو يقدم على مشروع تجاري، ينبغي عليه أن لا يكثر من التفكير المهدر في قضية "لو لم أفعل لكان أفضل" أو ما إلى ذلك، فكثرة التحسر والتندم على اتخاذ القرارات التي أُخِذَت بعد رَويّة وبحكمة ، لا شك أن هذا نوع من الأمراض، كثرة التردد والتفكير السلبي الذي يولد في النفس الحسرة والألم، لاشك أن هذا مما يصيب النفس الإنسانية بالضعف، بل ينبغي على المسلم أن يقتنع بأنه حتى في الأشياء التي تضره من أمراض أو من خسارة في تجارة أو في مشروع تجاري أو في مشروع زواج وما إلى ذلك أن هذا أمر قد كتبه الله سبحانه وتعالى في الأزل.

هذه الأمور مهمة، وينبغي حقيقةً أن نربي أبناءنا عليها؛ فإنها مما يكسب شخصية الطفل القوة والتكامل والثقة بالذات ، والارتباط بالخالق سبحانه وتعالى والرضا بما كتبه، ولا شك أن القناعة كنز لا يفنى، القناعة بما كتبه الله سبحانه وتعالى على الإنسان وعلى المرء.

٣ / أن الإيمان بالقضاء والقدر يكسب الإنسان الشجاعة

الإيمان بالقضاء والقدر يكسب الإنسان شجاعة وجرأة بلا تهور؛ لأن الإنسان حينما يكون في موقف يقتضي منه التصرف بشجاعة وبجرأة، المؤمن بقضاء الله وقدره يعلم أن ما كتبه الله عليه سوف يحصل، وأيضاً الصبر عند المصائب حينما تحصل مصيبة ويبتلي الله أحد عباده بفقد عزيز أو قريب أو خسارة أو مرض وما إلى ذلك، فإنه ينبغي عليه أن يصبر رضاءً بقضاء الله وقدره وطلباً للأجر من عند الله سبحانه وتعالى، فالمؤمن إذا أقبلت عليه الدنيا بصحة وعافية ووفرة مال وصلاح ولد وكثرة ولد ينبغي أن يحمد الله سبحانه وتعالى، وأن يقترب من الله سبحانه وتعالى، وفي الجانب الآخر - وهو كجناحي الطائر- إذا أصابته بعض المصائب وبعض الجوائح ينبغي أن يتعلق بالله سبحانه وتعالى وأن يصبر، ولا شك أن هذه كلها من القيم الإسلامية المهمة جداً.

٤ / أن الإيمان بالقضاء والقدر يلقي في نفس الإنسان التفاؤل والبعد عن التشاؤم

ويبعده عن ربط الأشياء المؤلمة أو المصائب بمنظر أو رؤى أو تطير، حينما يسمع شيئاً من الأصوات أو يرى شيئاً من الطيور المستكرهة أو يرى إنساناً لا يحبه وهو في طريقه فيتشاءم بهذا الأمر ، لا شك أن هذا من سوء الظن بالله سبحانه

وتعالى، وينبغي على المؤمن أن يبتعد عن هذه الأمور ، بالذات ما يتعلق في النواحي السلبية، أن لا يربط الأشياء – المظاهر- التي يكرهها بما قد يتبعها من مخاطر وما إلى ذلك، فإن هذا من دَعَاوَى الجاهلية، كانوا يتطيرون بالبوم وبالغراب وبالسوراح والبوارح وما إلى ذلك، وهذا من الربط الغير منطقي والغير مقبول.

ولكن حينما يكون هناك استشراف شيء جميل، إنسان يسمع اسم جميل فيتوقع ويتفاءل، والتفاؤل أمر إيجابي وخلق جميل وصفة اجتماعية تولد لدى الإنسان ولدى المحيطين به روح الأنس والاقتراب والرضا والمحبة والإشراق، فهذا حقيقة هو ديدن المؤمن أنه يتفاءل، وهذا ورد في السيرة النبوية حينما كان هناك تفاوض بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين كفار قريش في عام الحديبية، كان الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته خارجين لأداءالعمرة فكان هناك تفاوض، وحينما أقبل عليهم "سهيل بن عمرو" وهو من الكفار ، فالرسولُ صلى الله عليه وسلم حينما رأى سهيلَ قال: (تسهل أمركم) فالاسم الجميل يتفاءل به؛ لأن التفاؤل دائماً يدفع إلى سلوك إيجابي وإلى المقاربة حتى في عملية المفاوضة والنقاش، عندما يكون الإنسان في حالة تفاؤل يكون أكثر نشاطاً وربما أكثر نجاحاً حتى في عملية التفاوض.

هذه القيم وهذه الأخلاق وهذه الأشياء الجميلة التي لا شك أن كل أب وأم يحرص على أن تكون مُشاعةً في الجو الأسري وكذلك في الجو الاجتماعي العام سواءً في المدرسة أو في محيط الحي والجيران، هذا كله من الإيمان بقضاء الله وقدره سبحانه وتعالى، إيمان العبد بالقضاء والقدر، فأركان الإيمان سلسة مترابطة يغطي ويتناول ويكسب كل ركن منها بعض الجوانب الإيجابية الهامة.

❑ الفصل الخامس : العقيدة "النظرة" الإسلامية في الإنسان ، والكون ، والحياة

هذا الموضوع من الموضوعات الهامة التي تمس حياة الناس باعتبار أن الإنسان هو منطلق النظر، نظرته لنفسه ، ونظرته لهذه البيئة وهذا الكون الذي يحيط به، ونظرته للحياة ونهايتها وما يتصل بها.

وهذه الموضوعات مما تناوله كثير من بحث الفلاسفة، فالفلاسفة الذين تطرقوا لهذه الجوانب تخبطوا فيها خبط عشواء وضربوا فيها يميناً ويساراً بخيالات يبدؤون من الصفر وينتهون إلى ما تحت الصفر، فلم يصلوا إلى شيء، وهذا مما تفترق به العقيدة الإسلامية عن اجتهادات الفلاسفة؛ لأن هذه الأمور الهامة جداً وإن كنا نراها، الإنسان يرى **نفسه** ويدرس نفسه سواءً من الناحية المادية أو من الناحية المعنوية والسلوكية، ويرى هذا **الكون** ويتأمله ويستكشفه، ويعرف هذه **الحياة** ويرى أجزاء من تحولاتها، ولذلك أعملوا عقولهم خطأً وقصورًا فيها، لأن هذه الأمور المهمة أصل الإنسان والكون والحياة كما يسمونها الفلاسفة **الأسئلة الكبرى، أو الأسئلة الغير نهائية،** لأنهم كلّما بحثوا زادت التساؤلات وتفرعت التساؤلات ولا يمكن أن يوصل بها إلى حقيقة.

والله سبحانه وتعالى من نعمه علينا أن هذه الأمور والإجابات عليها أنزلها علينا بالوحي، ونـتأملها ونجد في عقيدتنا في ما يتعلق **بالإنسان** وما يتعلق **بالكون** وما يتعلق **بالحياة** تناسقًا واتساقاً وعدم تعارض مع معطيات العقل، وهذا حقيقة من تمام نعمة الله سبحانه وتعالى علينا حتى لا نشغل تفكيرنا فيما لا طائل تحته، فكم عمل فيه الفلاسفة من جهود ومن سنوات ومع هذا لم يصلوا إلى شيء، فهذه الأمور وهذه الأسئلة عن : أصل الإنسان ، والكون وعن الحياة وطبيعتها ، هذه أشياء أنزلها الله سبحانه وتعالى، وأمرنا أن يكون تفكيرنا فيما سِوَاهَا لنعمل ونستجيب لأمر الله سبحانه وتعالى.

❖ أولاً / نظرة العقيدة الإسلامية إلى الإنسان

أول جوانب هذه الأصول الثلاثة هو : أصل الإنسان نفسه . لقد ورد في القرآن الكريم وصحيح السنة بياناً شـافياً عـن

هذا الجانب، ونحن نعرف قصة خلق الله سبحانه وتعالى لآدم وكيف خلق الله سبحانه وتعالى حواء عليهما السلام، ثم قضية ارتكابهما للمعصية وفتنة الشيطان لهما ونزولهما إلى الأرض، هذا كله بما قدّره الله سبحانه وتعالى وكتبه، فأصل الإنسان أنه مخلوق مُكرّم كما قال سبحانه وتعالى: {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (٩)} السجدة. فهذه تبين لنا أصل الإنسان.

أولاً : أن الإنسان خلقه الله تعالى بعد خلق السموات والأرض، لتكون داراً ومجالا للسكنى، وأصل خلق الإنسان أنه مخلوق من طين، خلق آدم من الطين، وتأثير هذا الطين لازال مستمراً، والعلاقة بين الإنسان وبين الطين وبين التراب علاقة أزلية {مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (٥٥)} طه. فمنها خَلَقَنَا وسوف تحتضن وتستر الأموات في جوفها ثم يعودون مرة أخرى للجزاء والحساب، فمنهم مَن يرتقي إلى الجنات، ومنهم مَن يهوي إلى قاع جهنم، هذه القضية مهمة جداً.

ثم الله سبحانه وتعالى لما خلق آدم وخلق حواء جعل تطور السلالة من الذكر والأنثى، وهذا يؤكد لنا الحاجة الماسَّة إلى بناء الأسرة، وسبق أن قلنا عندما تحدثنا عن مؤسسات التربية الإسلامية تحدثنا عن العلاقة المهمة والإيجابية بين الإنسان من خلال تكون الأسرة من جانبين مهمين وهما جانب الأب والأم، فجعل تكون وتسلسل بني آدم من خلال وجود هذه الأسرة التي جعلها الله سبحانه وتعالى مستمرة إلى يومنا هذا ، و إلى أن يشاء الله سبحانه وتعالى.

الحلقة (١٤)

❖ تابع : نظرة العقيدة الإسلامية إلى الإنسان

١ / أن الإنسان مخلوق مكرَّم :

العقيدة الإسلامية تنظر إلى الإنسان على أساس أنه : مخلوق مكرَّم ، فكثير من النظريات المادية أو الفلسفية التي تحدثت وقدمت تفسيرات لأصل الإنسان ونشأته ترى أنه تطوراً عن بعض الكائنات الوضيعة الأخرى! ونحن نعتقد أن الله سبحانه وتعالى خلقنا ابتداءً أُناسًا كاملين متميزين مكرَّمين، يقول الله سبحانه وتعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ}. فالله سبحانه وتعالى قد كرّم الإنسان، وجعله منفصلاً انفصالاً تاماً عن سائر الكائنات، وإن حصل نوع من التشابه لكنه تشابه في أشياءٍ يسيرة ظاهرية .

أما المِيزة الأساسيّة التي خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان عليها : أنه إنسان عاقل، وميَّزه الله سبحانه وتعالى بالعقل، والقدرة على استبصار الموقف، والقدرة على استشراف المستقبل، ومعرفة الخير والشر، والقدرة على المعرفة، والقدرة العلميَّة، وتمايز الناس بأخلاقهم وبقدراتهم وبقيمهم، هذا لا شك أنه مجال واسع من مجالات تكريم الله سبحانه وتعالى للإنسان.

ومن أهم جوانب التكريم : **القدرة على الاختيار** سواءً الخير أو الشر، وشعور الإنسان أن الله سبحانه وتعالى خلقه وكرَّمه وفضَّله على كثير ممَّن خلق، وهذا يتصل بما يسمِّيه علماء النفس الاجتماعي : "**أداء الدور**" ، شعور الإنسان دائماً بأنه مكرَّم يجعله يرتفع بأخلاقه عن ضغط الغريزة، ويرتفع بأداءالواجبات الاجتماعية عن الأثرة والاستئثار، وحظّ النفس، وما إلى ذلك.كما أن الأب حينما يربي أبناءه بطريقة صحيحة، يمدحهم بالخصال الجميلة التي فيهم، فمدح الفتى أو الفتاة، الشاب أو الطفل بالخصائص التي فيه هي ممَّا يعلي من فهمه لذاته ويرفع من نظرته لنفسه ويجعله يعتلي ويرتفع

درجاتٍ تلوَ درجات .

ولا شك أننا نرى هذا التكريم الذي **يتجلى في العقل، وقوة الإرادة ، وقوة العزيمة،** بآثار الإنسان في هذه الحياة وما صنعه من منجزات مادية، ومنجزات حضاريَّة، وما قدمته البشرية من ثراء في العلوم والمعارف، وفي الآداب والفنون، وشتى المجالات الحضارية التي نراها اليوم، هذا من تميُّز الإنسان ومن إكرام الله سبحانه وتعالى له.

أما الكائنات الأخرى فإنها مستمرة على نسق واحد، وإن كان عندها شيء من الذكاء والقدرة على التحايل ، ولكن هذا مرتبط بتحايل لإشباع غريزة ، أو درء مخاطر ، أو ما إلى ذلك .

٢ / أن الإنسان مـخلوق مـختار

أي له القدرة على الاختيار في جوانب الحياة ، ويختار الطريق الذي يسلكه، إن اختيار الإنسان لطريق معين هذا مرتبط بالمسؤوليَّة وبالصلاحيَّة وبالمحاسبة على العمل، الطفل الصغير الذي لا يفقه نتائج تصرفاته غير مكلف وغير محاسب، كالبهائم التي لا يمكن أن تحاسب على تصرفاتها وعلى أعمالها بشكل عام. ومن الآيات التي تبيِّـن هذا المفهوم قوله سبحانه وتعالى: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠)} الشمس .ذكر الطريقين، وذكر الأشياء المترتبة على سلوك كل طريق، الإنسان حينما يسلك بإرادة، هذا ممَّا يربيَّه على التفكر والتأمل في اتخاذ القرار، إن قضيَّة صناعة القرار واتخاذ القرار من الأمور المهمة التي تساهم في تحقيق الرقي والتقدم للبشرية.

٣ / أن الإنسان مـخلوق حضاري

الإنسان فيه نزعة نحو التحضُّر، والابتعاد عن حياة البدواة والتوحش، وهذا أمر ملحوظ وواضح . قضية – قديما – اللجوء إلى حياة التنقل والترحال والتوحش والبداوة، فرضتها ظروف معينة، ظروف اقتصادية، وظروف اجتماعية، وظروف فهم الحياة وتقدمِّها.

أما **الإنسان بطبيعته فيه نزعة نحو النظام والترتيب والضبط والدقة،** هذه القاعدة الأساسيَّة في حياة الإنسان؛ لأنه يرى الحياة أمامه منتظمة، فالكون الذي يعيش فيه، يعيش في نظام دقيق! وهذا النظام الدقيق أو السنن التي أودعها الله سبحانه وتعالى في هذا الكون هي من أسباب –والله سبحانه وتعالى أعلم- استمرار هذه الحياة وتحقيق التوازن فيها، فتعاقب الليل والنهار، والصيف والشتاء، وتعاقب الفصول، وتحقيق التوازن الدقيق البيئي، كلما اكتشف الناس شيئا فيها وجدوا دقة صنع الله سبحانه وتعالى.

كذلك **الإنسان فيه نزعة للترتيب الاجتماعي،** الناس حينما يتكاثرون من الطبيعي جداً أنهم يضعون –يختارون – مسؤولا، أو توجد السلطة العليا التي تضبط الناس، فالناس لا يصلح أن يعيشون كالبهائم وكالقطيع يمشون، لا بد من ضبط الأمور حتى لا تفرط نوازع أو يتذمَّر المجتمع بمشكلات معينة، ومن نظام الحياة وحسن انتظامها: ما يتعلق بموضوعنا الذي هو قضية التربية والأسرة والمجتمع، والحلقات الاجتماعية، والدوائر الاجتماعية من الأسرة والأسرة الكبيرة والحي والجيران، وهذه كلها مرتبطة بحقوق وواجبات.

كذلك **حبَّ التعلم، وزيادة الثقافة والمعرفة، والتنمية العقلية،** هذه كلها من الجوانب التي أودعها الله –سبحانه وتعالى- في النفس الإنسانية، وهي من الصفات اللازمة في الإنسان، ويتجلَّى هذا في قول الله سبحانه وتعالى، على سبيل المثال: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢)} البقرة. فالله سبحانه وتعالى قد أودع في نفس الإنسان القدرة على

التعلُّم، والقدرة على وضع المسمَّيات على الأسماء، ووضع الروابط، ليست أسماء فقط : هذا ماء ! وهذا كتاب ! وهذا ثوب ! وما إلى ذلك، بل أيضًا الروابط، هذا الماء يُشرَب، وهذا الكتاب يُقرَأ، روابط تشكِّل بمجملها اللغة التي هي أشبه بالكائن الحي.

والله سبحانه وتعالى أعطى الإنسان القدرة على التعلم، وقد حظيت كثير من جوانب العملية التعليميَّة بالاحترام والتقدير، فالله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم يُقسِم ببعض مخلوقاته، أقسم بالسماء والشمس والقمر، ومن الأشياء التي استحقت أن يقسم الله سبحانه وتعالى بها؛ لمكانتها ولأهميتها، القلم، فـ "القلم" هو أداة توثيق المعلومات، وما نقلت إلينا علوم الغابرين والسابقين إلا بفضل الله سبحانه وتعالى ثم بفضل اكتشاف الإنسان لهذا القلم، كما قال تعالى: {ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢)} القلم . فالقلم والكتابة أداة لتعلُّم الإنسان.

٤ / أن الإنسان مـخلوق مكلَّف

أي متحمِّل للمسؤولية وحامل للأمانة، ويجب عليه أن يؤدي الأمانة ويتحمَّل المسؤولية وفق ما أمره الله سبحانه وتعالى، إذا كان الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان في أفضل صورة وأتمَّ خلق وأنعم عليه بالعقل وكرَّمه وسخَّر له ما في هذا الكون ، فإنَّ هذا له تبعات وهي قضية : التكليف .

الله سبحانه وتعالى أنزل تشريعاته، وأنزل أوامره وزواجره، فهذا حرام وهذا حلال، وهذا واجب ، وهذا مندوب وهذا مكروه، فهذه الأوامر وضحَّها الله سبحانه وتعالى وبينها لنا وتركنا فيها على المحجَّة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وكل إنسان سوف يحاسب بناء على ذلك، أشياء واضحة كالشمس، فينبغي للإنسان أن يلتزم ما أمره الله سبحانه وتعالى به، الله سبحانه وتعالى خلقك لطاعته وعبادته، وكل الأوامر بمجملها سواء كانت بما يتعلق بالعبادات، أو ما يتعلق بالنواحي الاجتماعية كلها تصب في مصلحة الإنسان، فالإنسان أتته الأوامر واضحة وصريحة وهو مسؤول عنها أمام الله سبحانه وتعالى، كما قال تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (٧٢)} الأحزاب. فهذا قَدَر الله سبحانه وتعالى على الإنسان أن يتحمَّل أمانة التكليف، وسوف يُسأل عنه، كما قال تعالى في الآية الأخرى: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)} الزلزلة. ميزان دقيق يقيس الذرة وما هو أصغر منها.

٥ / أن الإنسان خُلِقَ للعبادة

خُلِقَ الإنسان بهذه الصفات وبهذا التكريم وبهذا الكمال ليكون عبدًا لله، وكلَّما زادت عبادة العبد وخضوعه لله سبحانه وتعالى، كلَّما ارتقى، وهذا يعني أنه انفصل وتسامى عن ما في هذه الأرض وارتفع عنها، هذه القضية ذات أهمية كبيرة، والإنسان بطبيعته مفطور على الخضوع وعلى أن يتذلَّل وأن يتعبَّد، فهذه العبادة وهذا الخضوع وهذا الذل إذا لم يصرفه العبد لله الذي هو أهلٌ لأن يُعبد وأن يُوحد، فإنه يكون عرضة للسقوط فيخضع لمن لا يستحق الخضوع له، ويعبد من لا يستحق العبادة.

❖ ثانيًا / نظرة العقيدة الإسلامية إلى الكـون

نظرتنا من خلال المنظور الشرعي للكون : أن البشرية كلَّما تقدمت فتحت آفاقًا وزادت علومها وزادت معارفها في ما يتعلق بعلوم الحياة وعلوم الكون، فالإنسان على سبيل المثال: حينما يركب في الطائرة، خلال لحظات يرى الجبال الشاهقة والوديان السحيقة كأنَّها صغيرة جدًا، فما بالك إذا انطلق إلى الكون بكامله بما فيه من أفلاك وما فيه من

أجرام وما فيه من مجرَّات وما فيه من نجوم، فهذا مدعاة للنظر والتأمُّل في هذا الكون، ولابد أن يعرف الإنسان – من المنطلقات الشرعية- علاقته بهذا الكون، وكيف يتعامل معه، وكيف ينظر إليه النظرة الصحيحة. من الأمور المهمة وهي مرتبطة بتوحيد الربوبية لله سبحانه وتعالى :

❑ **أولاً : التسليم بأن هذا الكون مخلوق لله، وأن الله سبحانه وتعالى هو الخالق والمصرِّف والمدبِّر:**

كُلُّ ما يجري في هذا الكون إنما هو بإرادة الله سبحانه وتعالى وبقدَره، فينبغي على كل مؤمن -ويهمنا في هذا المجال التربويين- أن يغرس هذه القيم في نفوس الأطفال، إذا فتح الطفل عينيه حتى قبل أن يذهب إلى المدرسة ينظر إلى هذه الأشجار وهذه الجبال والشمس والقمر، ينبغي أن يُغرس فيه ابتداءً وهو في مرحلة الاستقبال -دون إعمال عقل- أنَّ هذه كلها مخلوقات لله سبحانه وتعالى، ولا شك أنّه لا يصح إيمان عبد إلا بالاعتقاد بأن هذا الكون مخلوق لله سبحانه وتعالى.

الآثار التربوية للإيمان بأن الكون مخلوق لله تعالى:

أ. **أنه يربط المؤمن بخالقه سبحانه وتعالى :** حينما يدرك و يتأمَّل وينظر الإنسان إلى هذا الكون وما فيه من جبال، وما فيه من رياح، وما فيه من بحار وأنهار وسماوات وأرض وشمس ونجوم وقمر، وغيرها ممَّا يراه، وممَّا لا يمكن أن يُرى بالعين المجردة، هذا يجعله يرتبط بالله سبحانه وتعالى. الإنسان كائن صغير في هذا العالم، والله سبحانه وتعالى قد خلق هذا الكون وما فيه من كمال، وما فيه من دقَّة الصنع لا يملك الإنسان معه إلا أن يسبح الله سبحانه وتعالى على دقَّة صنعه وعظيم خلقه.

ب. **النظر بإجلال إلى عظيم خلق الله سبحانه وتعالى :** وأن هذا الكون الدقيق المحكم المتناهي الذي لو اختل شيء من التوازن فيه لانْهَدّ وتوقفت الحياة، هذا الكون لم يخلق عبثاً، وإنَّما خلقه الله سبحانه وتعالى بحكمة متناهية وبدرجة كبيرة من التوازن ومن الاتساق.

ت. إن الكون مسيَّر وفق قوانين وسنن إلهية دقيقة ومحكمة وليس عبثاً أو في مجال فوضى،كما قال الله سبحانه وتعالى: {وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨)} يس. فهذا الكون يتحرك وتحدد فيه العلاقات بين مكوناته انطلاقًا من تقدير الله سبحانه وتعالى الدقيق والمتناهي الدقة؛ حتى لا يختلّ نظام هذا الكون إلا بإرادته سبحانه وتعالى. **تربيَّة الإنسان على النظام والدقة**، وعلى أهمية الانضباط، وعلى أهمية النظام في استقرار الحياة.

ث. **التكامل بين الكون والوحي :** فهذا كتاب الله المقروء، وهذا كتاب الله المفتوح، وبينهما انسجام وتكامل، وهي – كما أشرت- ممّا يجعل الإنسان يتعلق بالله سبحانه وتعالى كثيرًا.

الحلقة (١٥)

❑ **ثانيًا : أن الكون يسير ويتحرك بقدرة الله سبحانه وتعالى**

ولا يحصل في هذه الحياة إلا ما كتبه الله وما أمر به، وإنَّ كلَّ ذلك خاضع لإرادته ولأوامره، كما قال سبحانه وتعالى: {وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (٣٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠)} يس. هذه الآيات وغيرها من الآيات تتحدث عن سير هذا الكون، وتحركه وفق أمر الله سبحانه وتعالى وبقدرته وبإرادته. وهذا مما يزيد عظمة المؤمن بالله سبحانه وتعالى، والخوف ممَّا قد يحصل من اختلال في هذا

الكون، والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى حينما يحصل خلل، مثل بعض الظواهر الطبيعية التي يُفسِّرها الملحدون بأنها ظاهرة طبيعية لا علاقة لها بالجوانب الإيمانية ! أما نحن، فهذا الإيمان يجعلنا نتعلق بالله العظيم الخالق القادر المهيمن، وأيضاً نخاف من عقابه، فما يحصل من اختلالات وزلازل وبراكين وأعاصير ، وحتى الخسوف والكسوف، هي أمور تجري بإرادة الله.

ينبغي على المربي أن يربي أبناءه وتلاميذه على الخوف من الله سبحانه وتعالى والتعلق به، هذه الجوانب مرتبطة بديننا ارتباطاً وثيقاً، فإذا حصل كسوف أو خسوف يجب أن يكون هناك لجوء إلى الله سبحانه وتعالى ومراجعة للنفس، وأن يقوم الناس لأداءالصلاة -صلاة الكسوف و الخسوف-، وإذا تأخر المطر فإن ذلك بإرادة الله سبحانه وتعالى: {وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الغَيْثَ}. وهذا كله من تمام صون هذا الكون بإرادة الله سبحانه وتعالى، ولذلك إذا تأخر المطر يفزع المؤمنون إلى أداءالصلاة؛ لأن الإنسان المسلم أقرب ما يكون إلى الله سبحانه وتعالى وهو في صلاته، وأقرب ما يكون في الصلاة حينما يكون ساجداً خاضعاً ذليلاً لله يرجو رحمته ويخشى عذابه، هذه من الأشياء المهمة التي تؤكد الترابط بين الجانب التعبُّدي المحض، كالصلوات والعبادة والدعاء، وبين ما يجري في هذا الكون، وهذا من تمام سيطرة الله سبحانه وتعالى على جميع مجريات الحياة وأنها أمور مرتبط بعضها ببعض، وأن هذا الكون خاضع خضوعاً تاماً لله سبحانه وتعالى.

فينبغي على المربين أن يؤكدوا هذه القيم الإيمانية في نفوس من يربونهم في كل موقف يحصل مما يخيف، ينبغي أن يُربط بالتوبة والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى والإنابة إليه، فالله سبحانه وتعالى غفور رحيم، يغفر الذنب ويقبل التوبة ويصفح عن الزلة، وهذا ممَّا يجعل الإنسان أكثر قرباً إلى الله سبحانه وتعالى .

❑ **ثالثًا : أن الكـون قـانت لله تعـالى**

وقانت : أي خاضع عابد لله سبحانه وتعالى، هذه القضية من الجوانب المهمة في عقيدتنا ونظرتنا وذات أبعاد تربوية مهمة، كما قال سبحانه وتعالى: {وَقَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ (١١٦) بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (١١٧)} البقرة. "كل له قانتون": القنوت يعني: خضوع لله ولأوامره خضوعاً تاماً، خضوع العبادة الكونية والاستجابة الكاملة لأمر الله سبحانه وتعالى، وهذا له دلالات تربوية، فإذا كانت الجمادات والعجماوات -من الكائنات الأخرى- خاضعة لله ولا تعصيه، فما بالك بالإنسان المكرم؟! الذي كرَّمه الله سبحانه وتعالى وامتنَّ عليه بنعم كثيرة تترا، كنعمة العقل، والقدرة على التفكير، واستبصار الأمور، وبُعد النظر، هل يليق به مع هذا الإجلال ومع هذا التكريم ومع هذا التسخير أن يعصي الله سبحانه وتعالى؟! هذا من كفران النعمة ومن جحود المنعم، ومن يفعل هذا الأمر مستحق لغضب الله ولسخطه.

❑ **رابعًا : أن كثـيرًا ممَّا في هذا الكـون قد سخَّـره الله سبحانه وتعالى للإنسـان**

سخَّر الله الجبال فجعلها أشبه ما تكون بمخازن للمياه تجمعها وتصرفها على شكل ينابيع وعلى شكل عيون، وسخَّر الأشجار بما فيها من ثمار وما فيها من جمال وما فيها من توازن بيئي، وسخَّر البحار وجعلها مهيأةً له يأكل منها لحماً طرياً، وأيضاً صنع الفلك وأودع فيها القوانين، كقوانين الطفو، ونحن نعرف -في هذا الوقت- حركة السفن في البحار وكم سهَّلت على البشرية من خدمات نتيجة لضخامة هذه الأفلاك وهذه المراكب والبواخر والسفن وانسيابيَّـة تنقلها وحركتها وضخامة ما تحمله. هذا كله من تسخير الله للإنسان، وهذا من مجال الإكرام والتنعم من الله سبحانه وتعالى على عباده.

ولو تأملنا في حياتنا وفي شؤوننا اليومية لوجدنا توازن للعناصر الموجودة في الهواء من أوكسجين وثاني أكسيد الكربون،

وكل عنصر له فائدته التي تساهم في حفظ التوازن في هذا المجتمع والكائنات، وكل ما يقع على نظر الإنسان ينظر فيه إمكانية التسخير للإنسان إذا أعمل عقله فيه.

الآثار التربوية لتسخير الكون للإنسان :

أ. **ما يستحقه خالق هذه النعم من الحمد والشكر** والاعتراف بالنعم وشكره عليها، وعبادته بذلك، فإنَّ هذا ممَّا يقرب الإنسان لله سبحانه وتعالى {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} إبراهيم آية (٧). فشكر النعمة مما يقرب الإنسان لخالقه، وممَّا يسْتَجِرّ استدامة النعمة وتسخير الله سبحانه وتعالى للكون.

ب. **إعمال الذهن وإعمال العقل في كيفية الاستثمار الأمثل والصحيح لهذا الكون،** للكاتب الجزائري "مالك بن نبي" عبارة جميلة في هذا المقام، يقول: "أن المسلم أو العربي حينما ينظر إلى الطبيعة الجميلة، فإنه يُنتج قصيدة" -أي إنه إذا كان الجو شاعري وجميل، فهذا ينتج عنه شعرًا ومشاعر فيَّاضة- "والغربي حينما ينظر إلى الجبل، فإنه ينظر كيف يستخرج منه أحجاراً كريمة أو كيف يستثمره في صناعته !!". وليست القضية نقداً للذات، فتأمُّل هذا الكون وفيض النفس عن بعض مشاعرها وخواطرها، هذا شيء جميل إذا لم يتجاوز الضوابط الشرعية، ولكن قضية الاستثمار الأمثل هذا مهم، بأن يكون استثمارًا جائزًا، واستثماراً دقيقاً، والاستفادة من هذه المخلوقات، فإن الله سبحانه وتعالى خلقها لكي نستثمرها ونستفيد منها ونستخدمها في حياتنا ونستكشف أسرارها وتركيباتها ، ونركب منها بعض المركبات في الأدوية والصناعات والمصنوعات والمباني وفي غيرها ، وهذا مرتبط بقضية كون الإنسان مخلوق حضاري يحول الخامات الرخيصة إلى منتجات صناعية.

وهذا الجانب جانب مهم، قضية التربية على ما يتعلق بالعلم الطبيعي، والعلوم التطبيقية الناتجة عنه. ولا شك أنَّ البشرية حققت تقدماً مذهلاً في هذا، ولكن دائماً يُربط، ويجب أن نُربي من تحت أيدينا أبناءً وطلاباً على هذه النظرة التربويَّة الهامَّة .

ج. **استجاشة العواطف الربانية** : وهو ما يتعلق بالخوف والرهبة والمراقبة والرغبة فيما عند الله سبحانه وتعالى، وطلب المزيد من رحمة الله سبحانه وتعالى.

❖ ثالثًا : نظرة العقيدة الإسلامية إلى الحياة

نحن نعيش في أحياء وفي أجواء، ومن السنن التي جعلها الله سبحانه وتعالى: أن جعل لهذه الحياة ابتداءً، سواء ما كان ببدء الخليقة آدم عليه السلام ثم ذريته من بعده، أو دورة الإنسان في هذه الحياة حينما يخرج من بطن أمه ثم يكتشف ما حوله ويدرك طبيعة هذه الحياة.

ونحن نعرف جميعاً أن المؤمن والكافر يعيش فترة من الزمن، تطول أو تقصر، ولكن في الأخير لا بد من حد لهذه الحياة الدنيا، وهو الانتقال عنها، فهذا يتفق فيه المسلم والكافر؛ لأن هذا أمرٌ مشاهدٌ بالعيان، ولا يُعاند فيه إلا مكابر أو جاهل، لكن المَفصل في هذا، نحن نظرتنا إلى الحياة أنها لا تنتهي بمجرد خروج الروح من الجسد، وإنَّما هذه مرحلة، وتعقبها مرحلة البرزخ - أي الحياة في القبر - والقبر هو أول مراحل الآخرة، وفيه نوع من العذاب للكفار، وفيه نوع من النعيم، لكن الجانب الآخر من الحياة هو الذي ما بعد البعث .

فهذه نظرتنا وعقيدتنا في الحياة : أنها تتكون من جزأين، تفصل بينهما الحياة البرزخية في القبر، فنظرتنا لهذه الحياة الدنيا باعتبار أنها مجال لحياتنا، ومجال لأعمالنا، ونعيش في أوقات معينة، لابد أن يكون للتربية دور مهم في هذا

الجانب، سواء من ناحية : النظرة لها وإعطائها قدرها وما تستحق من قدر واهتمام، أو من ناحية استغلالها واستثمارها الاستثمار الأمثل وبالطريقة الصحيحة .

❑ **بعض المبادئ وبعض النظرات المنبثقة من عقيدتنا ونظرتنا للحياة :**

١ / يجب أن نعرف أن الحياة الدنيا هي دار اختبار وامتحان

جعلها الله سبحانه وتعالى مكاناً للاختبار، ونحن نعرف أنه لما تطلق كلمة "اختبار" فهي مرتبطة بالتعلّم والتعليم، ومرتبطة أيضا بالتربية، فالتربية من الجوانب المهمَّة فيها: أنه يحصل فيها اختبار، لأن الاختبار فيه تمحيص وفيه نقد وفيه تقويم وفيه نتائج تترتب على هذا الاختبار. وإذا كنا نحن في حياتنا الدنيا ترتعد فرائصنا من الاختبارات، ونأخذ لها شيء من الهمّ ومن الغم، وننظر لها نظرةً مصيرية، مع أنَّ هذه اختبارات دنيوية! فما بالك بالاختبار الحقيقي الذي ليس فيه إعادة سنة، أو حمل مقررات، وإنَّما مصير: إمَّا إلى الجنة وإمَّا إلى النار، هذا هو الاختبار الحقيقي. ينبغي أن ننظر إلى هذه الدنيا باعتبارها دار اختبار ودار ابتلاء؛ حتى نعطيها قدرها، ونستعد لهذا الاختبار الاستعداد الجيد والكافي والمتوازن

٢ / أنها متاع مؤقت ، ومعبر إلى الآخرة ، ومهما طالت فإنها قصيرة

والإنسان كلمَّا تقدم به العمر أدرك قصر الحياة وكأنَّه لم يمرَّ عليه إلا أيام أو أوقات قليلة ! فهي "متاع" يستمتع بها، لكن لا ننظر إليها بأنها هي المستقر النهائي، وإنَّما هي طريق ومعبر نستمتع بها أو نستريح فيها، كما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم: (كرجل استراح تحت ظل شجرة).

من الآثار والجوانب المهمة فيما يتعلق بـ " التربية الإسلامية " ، (انطلاقاً من هذه النظرة) :

أ – **التحذير من الانشغال بالملذَّات** والإسراف فيها والتوسّع في مباهجها، وما يَرِدِه ذلك من خيلاء، وما يرده من بطرٍ ومن إسراف ومن تكبُّر، هذا منهي عنه. فينبغي التركيز على التربية على التبسُّط والتواضع وعدم الكلفة، هذه من الفطرة التي فطر الله الناس عليها، ولكن قد تستجِر وفرة وكثرة الخيرات إلى الملذات، فينبغي أن نربي أنفسنا أولاً ونربي من تحت أيدينا مرةً بعد مرة على التبسّط وعلى عدم الانشغال والانغماس والإسراف في تناول الملذات، فهذا مما يبلد المشاعر، وممَّا يُقسي القلب، وممَّا يورد الإنسان تعلقاً بهذه الماديات وانشغالاً عمَّا هو أهم.

ب- **من الجوانب المهمة وهي مقابلة لما سبق : أنه لا إفراط ، ولا تفريط** ، فينبغي علينا أن لا نسرف، ولكن ينبغي علينا أن نستمتع بهذه الحياة وبزينتها، سواء بالمأكل والمشرب، ولكن لا إفراط ولا تفريط، وإنَّما بما يعين الإنسان على شكر النعمة ، وإعطائها قدرها، كما قال الله سبحانه وتعالى: { قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ } الأعراف آية (٣٢). أي مشتركة بينهم -يعني المؤمنين- وبين الذي كفروا في الدنيا، وخالصة للمؤمنين يوم القيامة. والله سبحانه وتعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، فلا يُقَـتِّر الإنسان على نفسه، ولا يُضِّيق عليها، ولا يُسرف ويَبطر فيها.

ج- **إدراك القوانين التي تحكم هذا العالم** : هناك قوانين مرتبطة لاستثمار هذا الكون، فالذي يُعمِل ذهنه، ويُعمِل فكره ويَكِد ويَجهد في العمل في هذه الدنيا سواء أكان مؤمنا أو كافرا، سوف يحصِّل منها، وهذا له علاقة بجهد الإنسان ونشاطه وحيويته، يستطيع الإنسان أن يُسيطر على هذه وأن يستفيد منها، وهذا فهماً من قوانين الحياة، كما قال الله سبحانه وتعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥)} هود. أي من يعمل للدنيا، فإن الله سبحانه وتعالى سيحاسبه على ذلك.

٣ / أن الحيـــاة مهما طالت، قصيرة

وأمدٌ محدود، وكما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (بعثت أنا والساعة كهاتين) وأشار بإصبعيه؛ لقربها وتسارع الزمن. فما بالكم إذًا بحياة الإنسان الذي يعيش فيها أربعين، خمسين، ستين، ثمانين سنة -مثلا- لا شك أن هذا عمر قصير، فينبغي أن يستغل ويدير وقته بالطريقة الصحيحة، وأن نعود أنفسنا ومن نعول ومن نعلم على هذا الأمر.

٤ / أن الحياة الدنيـــا لابد فيها من تعب ومن كدح ومن جهد وبذل مشقة

وأن نعيمها مؤقت، وأنها محفوفة بالمخاطر من: احتمالات الحريق، واحتمال التماس الكهرباء، أو غيرها، كالطرق ومخاطر الطرق، فهي محفوفة بالتعب والمشقة.

٥ / إدراك حقيقة "أن من سنة الله سبحانه وتعالى أن ينصر عباده المؤمنين إذا أخذوا هم بأسباب النصر في هذه الدنيا"

لابد أن الله سبحانه وتعالى ينصر عباده ويؤيدهم، ولكن هذا يحتاج منهم إلى عمل وإلى إجهاد، وإلى بذل جهد كبير.

نتحدث في المحاضرة القادمة على النتائج التربوية العملية ، ثم ننتقل إلى الأصل التعبدي . (ملاحظة : لم يأتِ ذكر هذه الموضوعات في الحلقة التالية)

الحلقة (١٦)

الفصل السادس : أهداف التربيـة الإسلاميـة

سنتحدث عن موضوع هام في الدراسات التربوية ألا وهو موضوع "**الأهداف**" فالأهداف من أهم الموضوعات في الدراسات التربوية، وفي التربية بشكل عام، وهي التي تحدد مسار العمليَّة التربوية، هي أشبه ما تكون بالبوصلة التي تحدد اتجاه العمل التربوي، وأيضا تحدد الإجراءات والوسائل. وهناك اختلاف وتباين كبير بين المدارس والاتجاهات التربوية المعاصرة في تحديدها لأهداف وأغراض التربية. وقبل أن نتحدث عن أهداف التربية الإسلامية ، سنتحدث بشكل مُجمل عن تعريف الهدف :

الهدف في اللغة : **١. هو الغرض الذي توجه إليه السهام بالرمي**

عادةً في تدريبات الرمايَّة، سواء كانت الرماية بالسهام والرماح، أو غيرها من أدوات الرمي وآلاته، يحدد "غرض" معيَّن ، أو "هدف" توجه إليه السهام، فهذا هو المقصود بـ "الهدف" من الناحية اللغوية، ويسمَّى بالعاميَّة "النيشان"؛ لأن السهام والأعين تتجه إليه. ولا شك الأعمال والإجراءات التربوية تتجه لتحقيق هذا الهدف .

٢. يطلق على الجبل المرتفع، ويسمَّى "هدف"؛ لشموخه وارتفاعه، ووضوحه للنَّاس.

وهذه القضية مهمة، قضية الوضوح، الأهداف لا بد أن تكون : **واضحة، ومحددة، ومتفق عليها في العمليَّة التربوية.**

إن وجود خلاف بين المربيِّن في الأهداف، هذا يؤدي إلى ازدواجية، ويؤدي إلى تنافر! ولو أخذنا على سبيل المثال الوالدين، فالأب -مثلا- إذا كان يريد أن يربي ابنه تربية جادة صارمة، وهذا هدفه هو، فإذا كانت الأم مشتركة معه في هذا الهدف، فإن العملية التربوية ستتجه نحو أدوات معينة وإجراءات معينة يتبعها الوالدين، وأسلوب عمل جدية وصرامة. أما إذا كان الأب له هدف، والأم لها هدف آخر، فإن هذا يظهر الازدواجية، ويظهر التنافر، ويصبح العمل التربوي كمن يبني جداراً في أول النهار، ويأتي الآخر ويهدم هذا الجدار، فيصبح هناك عمل دؤوب، ولكن دون الوصول إلى نتيجة، أو تحقيق انجازاتٍ واضحةٍ محددة، ويظهر هذا في العمليَّة التعليمة أيضا، فتأتي أهمية وضوح الأهداف.

من الأمور المسلمَّة والبديهيَّة والواضحة جدا : **أن يكون المعلمون جميعاً متفقين على أهداف محددة وواضحة، وأن تكون إجراءات هذه الأهداف متفق عليها،** ومعلنة للمعلمين، وحاضرة في أذهانهم، بحيث أن أعمال المعلمين تتكامل

فيما بينها في تحقيق تربية هادفة تساهم في غرس القيم -قيم علمية وقيم إيمانية وقيم أخلاقية، كالتعاون والإيثار والانتماء للوطن وللأمة وللمجتمع الذي يعيش فيه- ، فإذا كانت متكاملة وحاضرة في أذهان جميع المعلمين، فإنَّ عملهم سوف يتكامل، هذا يدرِّس التاريخ، وهذا يدرس الجغرافيا، وهذا يدرس الفقه، وهذا يدرِّس التربية الوطنيَّة، وهذا يدرِّس مادة العلوم، ولكن الهدف القِيَمِي والأهداف العامة واضحة ومحددة، فلا يحصل بينهم شيء من التنافر أو التضاد الذي يؤدي إلى زعزعة البناء التربوي، وتكوين شخصية قلقة، مزدوَجة، شديدة الاضطراب.

في موضوع الحديث عن الأهداف وما يتعلق فيها - هذا الموضوع أُشْبِعَ بحثًا وهو من أكثر الموضوعات حساسيَّةً وخطورةً في الأدبيات التربوية- نتحدث عن :

❑ **تقسيمات الأهداف** :

١ / **"الهدف النهائي"، و يسمى بـ "الغاية" التي يرمي إليها العمل التربوي.**

٢ / **"الأهداف المتوسطة" التي تتحقق على مدى مرحلة تعليميَّة معينة، أو مرحلة عمريَّة معينة.**

٣ / **"الأهداف الإجرائية القريبة" التي ترتبط بأداءمنشط تربوي معين.**

فحينما يقوم المعلم برحلة مع تلاميذه إلى أحد المنتزهات، فإنه يضع له أهداف معينة يفترض أنها تتحقق من: تحقيق الانسجام بين الطلاب والتكامل، وتعويدهم على الروح الجماعية وعلى العمل، وما إلى ذلك. يضع هذه الأهداف، ولابد أن يصل إليها في نهاية هذه الرحلة، بل حتى أنَّ المعلِّم في الحصَّة الدراسيَّة الواحدة يضع له مجموعة من الأهداف متنوعة ومرتبطة مع بعضها، بعضها يتعلق بالجانب المعرفي، بعضها بتكوين مهارات، بعضها يتعلق بغرس قِيم أو تعزيزها أو دفع شبهات، أو ما إلى ذلك، فهذه الأهداف التي تكون قريبة وواضحة ومحددة نسميها "أهداف إجرائية".

١ / فـ**"الغايات"** : التي هي الأهداف البعيدة جدا، تكون قليلة أو محددة.

٢ / و**"الأهداف المتوسطة"** : فيها طيف، أو مجموعة من الأهداف.

٣ / **أما "الأهداف الإجرائية"** : فلا يمكن أن تحصر أو تُحد، قد يصل أهداف الحصَّة الدراسية في خمس وأربعين دقيقة إلى عشرة أهداف، أو خمسة عشرة هدفا، أو اثني عشر هدفا، أو ما إلى ذلك، تكون كثيرة جدا.

من الأشياء المهمَّة أيضا في حتميَّة، أو ضرورة وضوح الأهداف، أو تحديدها للعمل التربوي : **أن الأهداف تعتبر من محركات السلوك**، أو محركات العمل في العمليَّة التعليميَّة، **وأيضا أنها تكون منطلقاً للتقويم**، فإذا أردنا أن نقوم العمليَّة التعليميَّة ومدى نجاحها والمشكلات التي تواجهها، تقوَّم عادة العمليَّة التعليميَّة والأنشطة التعليميَّة، سواء كانت في المدرسة، أو حتى في المنزل، ينبغي على الوالدين أن يقوما بمراجعة مستمرَّة لتربية أبنائهما، وما تحقق، وما هي الإخفاقات، وما هي المشكلات، وعلى ماذا نركز، فعمليَّة التقويم التربوي عمليَّة مرتبطة بالفعل التربوي بشكل كبير.

من أهم جوانب العملية التقويميَّة : التقويم المنطلق من الأهداف، بمعنى ما هي الأهداف التي تحققت؟ أو ما نسبة تحقق الأهداف؟ لا شك أن هذا يعطينا مؤشرًا واضحًا وكبيرًا على مدى نجاح العمليَّة التعليميَّة بشكل كامل.

❑ **الأهداف والتربية الإسلامية** :

الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان لحكمة، ولمهمة، ولرسالة مطلوب منه أن يقوم بها في هذه الحياة، يقول الله سبحانه وتعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (٥٧)} الذاريات.

فهذه الآية حصرت خلق الإنسان بالعبادة .

❑ **والعبادة بمعناها الشرعي** : هي الاستجابة لأمر الله سبحانه وتعالى. وهي أمرٌ اختياري، ومطلوب، وواجب على

الإنسان أن يقوم به شكرا لله سبحانه وتعالى على نعمه التي تجلُّ عن الحصر، فهذا هو غاية خلق الإنسان. إذن **تربية الإنسان ينبغي أن تكون بمجملها تصب في هذا الهدف** : **تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى .**

وتحقيق العبوديَّة معنى واسع جدا، يشمل: العبادات التي فرضها الله سبحانه وتعالى على الإنسان، والخضوع التام لله سبحانه وتعالى: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢)} الأنعام. فحياتنا كلها ينبغي أن تكون لله، فالمربي ينبغي أن ينطلق في تربيته لأبنائه، ولنفسه، وفي المدرسة لتلاميذه من هذا الفهم، أن يحرص أن يكون الطفل أو التلميذ عابداً لله سبحانه وتعالى وأن تكون حياته لله، وهذا لا يعني الجمود، ولا يعني الرهبانيَّة والانشغال التام عن الدنيا، فإعطاء كل ذي حق حقه والتوازن في هذا هو العبادة الصحيحة، فالصلاة والصيام والزكاة وأداءالأعمال وإتقانها والتعاون والسعي في طلب الرزق والإنفاق في سبيل الله -الإنفاق في سبيل الله لا يمكن أن يتحقق إلا بأن يكون الإنسان ساعياً في طلب الرزق، في تجارته، أو في زراعته، أو مصنعه- أو ما إلى ذلك، هذه هي "الغاية العامَّة" لوجود الإنسان، والتي هي "الغاية النهائية" للتربية الإسلامية : **تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى**

ولكن بالتأمل نشتق من هذا بعض الأهداف التي تُسهِّل وتُيسِّر عمليَّة الدراسة، و تسهِّل عمليَّة تعامل المربِّي، وتعامل المنظِّر التربوي، والمعلم، وأيضا الجهاز التخطيطي في المؤسسات التربوية؛ لتحقيق التربيَّة الشاملة المتوازنة .

❑ **الأهداف العامَّة والأساسية للتربية الإسلامية** :

الهدف الأول (الدائرة الأولى) : بناء الإنسان المسلم وفق ما أراد الله سبحانه وتعالى ، وهذا طبعًا " دائرة النواة ".

الهدف الثاني (الدائرة الثانية) : بناء الأمة بشكل متكامل وفق ما أراد الله سبحانه وتعالى .

الهدف الثالث (الدائرة الأعلى) : بناء حضارة إنسانية تنطلق من معايير الإسلام، ومن تعاليم الإسلام .

فهذه الدوائر تتكامل وتتداخل في ما بينها، ومطلوب من الأمة قادة ومسؤولين أن يساهموا في تحقيق هذه الأهداف الشاملة والمتكاملة .

تفصيل الكلام في هذه الأهداف [1] :

❖ الهدف الأول : بناء الإنسان المتكـــامل بطريقة صحيحة ومتوازنة

بناء الإنسان المسلم المتكامل بطريقة صحيحة ومتوازنة، هو الهدف الأول من أهداف التربية الإسلامية، و بناء الإنسان هو موضوع استراتيجي؛ لأن الأمة ليست إلا مجموعة أفراد، وإذا صلح الأفراد واستقاموا هذا يدل على صلاح المجتمع، وبالتالي صلاح الأمَّة . وهذا الهدف – بناء الإنسان المتكامل – يتفرع ويتجزأ إلى جوانب متعددة ، ويكمِّل بعضها بعضًا :

❑ **أولاً : الجانب الصحي**

يُعنى بالرعاية الصحيَّة الجسميَّة، من اهتمام بالتغذية، واهتمام بالنظافة، واهتمام بالصحة، واهتمام بالراحة، وأخذ أسباب الوقاية والسلامة، وهذه الجوانب مهمة؛ لأن الجسم هو وعاء العقل، وهو وعاء الروح، ولا يمكن تصور قيام شخصية للإنسان دون أن يكون هناك جسم، بل إن الإنسان كلٌّ متكامل لا ينفصل بعضه عن بعض، **فسلامة الجسم وصحته مؤشر على سلامة العقل وسلامة الجانب العاطفي عند الإنسان،** وكذلك بقية الجوانب تتأثر بهذا الجانب بشكل كبير .

---

[1] / تمت إضافة هذه الجملة أثناء المراجعة

المنظومة التربوية مسؤولة عن تحقيق هذا الجانب من خلال الاعتناء بالجانب الوقائي أو الجانب العلاجي فيما يتعلق بحفظ هذا الإنسان والاهتمام به، ولا يتصور أحد أن التربية الإسلامية بتركيزها على جوانب إيمانية وجوانب وجدانية أنها تُهمل هذا الجانب، فالأشياء المظهريَّة مهمَّة جداً، ولها انعكاساتها من خلال : الاهتمام بالصحَّة والتغذية وحتى المظهر، فينبغي أن يكون المظهر متحليا وملتزما بما أمر الله سبحانه وتعالى به من آداب وتوجيهات، ومن أوامر و زواجر.فقضية عدم التشبُّه مثلاً في الملابس، وعدم التشبُّه في الشكل، أو في الشعر، هذه كلها منهي عنها،وتوجد نصوص كثيرة تحذر من تشبّه الرجال بالنساء، أو تشبه النساء بالرجال، أو قص الشعر بطرق معيَّنة، أو تقليد الكفَّار، هذه كلها أمور مهمَّة على الشكل، ولكن أيضا لها بعد ولها تأثير على عقل الإنسان، وعلى فكره، وعلى شخصيته بشكل كامل.

❑ **ثانيًا : الجانب العقلي**

العقل هو مناط التكليف الشرعي الذي كلَّف الله سبحانه وتعالى الإنسان تكاليفه الشرعية بناءً عليه، فينبغي الاهتمام بالعقل، والتربية الإسلامية حرصت على حماية العقل ابتداءً من تحريم المسكرات التي تؤثِّر على العقل، والمخدرات وغيرها. وحماية العقل من أن يتيه في تفكيره، وفي انطلاقته وسياحته فيما ليس له مجال فيه، كالتفكر في الغيبيات، أو في أشياء قد يتولد عنها أفكار سيئة وأفكار غير سليمة. ومن جوانب الاهتمام بتربية العقل : حثّ كثير من الآيات والأحاديث على إعمال العقل، وعلى التفكر في السموات والأرض وفي هذا الكون .

الحلقة (١٧)

❑ **ثالثًا : الجانب العقدي**

إن الجانب العقدي في بناء الإنسان هو جانب مهم، فالإنسان بطبيعته ينزع لأن يسأل ويتساءل ويُفكِّر في هذا الكون وما وراءه، وكيف بدأ، وما مصيره، الله سبحانه وتعالى - رحمةً بعباده - قد أنزل لهم من الآيات ما يبين لهم ويشفي صدورهم بإجابات لهذه الأسئلة الكبرى؛ كي يتفرغ الإنسان من شغل فكره و تفكيره بأن لا يتيه في مزالق عقدية منحرفة، فيجتهد فيها ويضلّ، ويتبع الهوى، ويعبد الكواكب، أو الأشجار، أو النجوم، أو الكائنات، أو غيرها من الأمور، أو يعيش حائرًا رافضًا لما وراء المادة، فيعيش حياة حيوانية تختلف فقط في درجة الرقي عن سائر الحيوانات ! هذا الجانب مهم جدًا فهو يحمي الإنسان بشكل متكامل، ويوجه التفكير الإنساني نحو الطريق الصحيح، فالجانب العقدي في الإنسان جانب مهم يحمي فكره وسلوكه، ويرتبط أيضا ببقية الجوانب الأخرى، على سبيل المثال : الجانب التعبدي.

❑ **رابعًا : الجانب التعبدي ، أو الجانب الروحي**

الإنسان مفطور على الخنوع وعلى العبادة، وقد كرمّه الله سبحانه وتعالى بأن جعله عبدًا لله، فينبغي أن يوجه هذه العبادة وأن يشبع حاجاته الوجدانية المرتبطة بالخضوع، بأن يكون خضوعًا لله سبحانه وتعالى واستجابةً لأمره وابتعادًا عن نواهيه وما حذر منه. إن في الإنسان وازع داخلي نحو العبادة والخضوع، ونحن نرى في الحضارات المعاصرة والحضارات القديمة حينما زلّت وانحرفت فظهرت فيها مظاهر من العبادة، باتخاذ الأصنام واتخاذ الأوثان، وصارت في رحلات من الانحراف والغيّ والفساد.

إن التربية الإسلامية تهتم بجانب الروح كاهتمامها بسائر جوانب الشخصية الإنسانية المتكاملة، فإعطاء هذا الجانب - الجانب التعبدي والجانب الروحي- حقَّـهُ يساهم في تحقيق التوازن السليم للإنسان ويبعد عنه التوترات وشد الأعصاب والقلق وما إلى ذلك، فالإنسان يفزع إلى الله سبحانه وتعالى في اليوم خمس مرات حتى لا تأخذه دوامة العمل وطلب

الرزق والانشغال بالدنيا واللهو مع الأهل والأولاد والأصحاب، فيكون له في كل فترة -كما بيَّـن الله سبحانه وتعالى وحدّد- وقت يتصل فيه الإنسان بخالقه ويبتعد عن هذه الدنيا، رافعًا شعار "الله أكبر" يبتدئ بها في الأذان الذي هو إعلام للصلاة، وأيضا في الصلاة نفسها نجد أن التكبيرات فيها تشعر الإنسان بأن الله سبحانه وتعالى أكبر من الهموم، وأكبر من الأهل، وحق الله سبحانه وتعالى هو الأكبر، والذي ينبغي أن يُصرف لله تعالى ، وكذلك سائر العبادات التي تساهم في تحقيق التوازن، كالصوم والحج بما فيها من جوانب جسمية وجوانب اجتماعية، ولكنها في مضمونها عبادات محضة لله سبحانه وتعالى تساهم في تحقيق التوازن في حياة الإنسان، وحتى لا تطغى عليه الجوانب المادية أو الانفعالية أو غيرها من الجوانب الأخرى.

❑ **خامسًا : الجانب الأخلاقي**

الأخلاق : هي مجموعة من القيم النبيلة والاجتماعية التي تحكم علاقة الإنسان بغيره من سائر البشر، فموضوع الأخلاق موضوع اجتماعي، توجد في العلاقات بين الآخرين، وتحكم وتحدد العلاقات فيما بين الآخرين. والبناء الأخلاقي من أهم الجوانب التي تساهم في تماسك المجتمع ووحدته، سواء المجتمع الصغير ابتداءً من الأسرة ، فهناك قيم أخلاقية ينبغي أن يربى عليها الأطفال والناشئة والشباب، احترام الكبير، والرحمة بالصغير والضعيف، وإنزال الناس منازلهم، التعاون والإيثار، تقديم العون والمساعدة للآخرين، هذه القيم الأخلاقية التي ينبغي أن يؤكد عليها في تربية الأطفال والناشئة، وهي جزء مهم من جوانب الشخصية.

❑ **سادسًا : الجانب الإرادي**

تقوية الإرادة، وتقوية العزيمة، والحزم في الأوامر، والتدريب المستمر على إنجاز الأعمال، وعلى المهارات، وعلى الانضباط في العمل وما يتعلق في الجانب العلمي، والصبر على العلم وعلى التعلم، وتقوية الإرادة في هذا الجانب، لا شك أن هذه تنتج إنسانًا قويًّا متكاملاً قد يفوق الواحد عشرات الآخرين من ذوي الإرادات الخائرة أو الضعيفة، وكذلك تقوية الإرادة في جانب العمل والصبر عليه، وعلى الإنجاز، وانتظار النتائج وعدم الاستعجال، فهذا أيضا جانب مهم.

وأيضا من الجوانب الإرادية -جوانب تقوية الإرادة وبنائها- : ما يتعلق بالعبادة، فالعبادة تحتاج إلى تقوية الإرادة بالممارسة والتدريب وزيادة التحمل شيئًا فشيئًا، فينبغي على المربي -سواء أكان أبًا أو أمًّا أو معلمًا أو معلمةً- أن يحرصوا على تقوية هذه الجوانب الإرادية في نفوس أبنائهم وتلاميذهم شيئًا فشيئًا حتى يتحولوا إلى طاقات نافعة، منتجة، تتحمل وتصبر؛ لتحقق شيئا من الإنجازات، فلا يمكن أن تتحقق انجازات لفرد من الأفراد أو لأمة من الأمم إلا ويكون وراء هذا الإنجاز عزيمة وقوة إرادة وصبر، ولا يمكن أن يتحقق انجاز علمي إلا وراءه السهر والتعب والصبر وانتظار النتيجة بتؤدة وعدم استعجال، كذلك حتى في الأمور الدنيوية أو غيرها، فلا يمكن أن يحقق الإنسان شيئًا من الإنجازات إذا كان ذو عزيمة ضعيفة أو خائرة.

❖ الهدف الثاني : بناء الأمة المسلمة المتماسكة

بناء الأمة المسلمة المتماسكة الآمرة بالمعروف، الداعية إلى الخير، كما قال الله سبحانه وتعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} آل عمران آية (١١٠). بناء هذه الأمة القوية، عزيزة الجانب، المهيبة، هذا هدف سامي من أهداف التربية الإسلامية، ويحتاج إلى عمل دؤوب، ويحتاج إلى تخطيط طويل وصبر في سبيل انجازه، وقد بذل الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله عنهم كثير من التضحيات في سبيل بناء هذه الأمة، وكان ثمن ذلك هو بناء هذه الأمة التي امتدت عبر القرون. وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يزيدها عزًّا وتمكينًا إلى أن تقوم الساعة .

هذا الهدف الاجتماعي، والهدف التربوي الكبير الذي هو "بناء الأمة القوية المتماسكة العزيزة الجانب" يتطلب التركيز على جوانب عدة تتكامل وتتداخل مع ما أشرنا إليه آنفا في حديثنا عن "بناء الإنسان" ، فمن ذلك :

❑ **أولاً : البناء العقدي ، وتكوين الدافعية للسلوك**

إن التجانس وتماسك وتقارب الأفراد يساهم في قوة وتماسك بناء الأمة، ولا شك أن انتماء الأمة إلى عقيدة واحدة وإيمانهم برب واحد والتزامهم بشرع واحد ووقوفهم خلف قائد واحد، لا شك أن هذا من أسباب العزة والمنعة . إن النظام التربوي بشكل عام، والتربية الإسلامية تركز على هذا الجانب؛ حتى يتحقق للأمة الإسلامية عزتها ومكانتها من خلال تماسك أفرادها، فالأم في بيتها، والمعلم في مدرسته، مسؤول عن المساهمة في تحقيق هذا البناء الذي هو حصن منيع يقي مَنْ بداخله، ويحميهم من نيل الأعداء، أو اقترابهم منهم، ويدرأ عنهم المخاطر المحتملة بناء على ذلك.

❑ **ثانيًا : بناء الأخلاق**

إن الجانب الأخلاقي جانب مهم جدا في قيام الحضارة وفي بناء الأمة، فالأمة لا يمكن أن تقوم إلا على أسس من قواعد وقيم وأخلاق إسلامية متماسكة وقوية ومنبثقة من منهج الله سبحانه وتعالى، من كتاب الله سبحانه وتعالى، ومن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا شك أن البُعد الأخلاقي في الأمة وفي المجتمع بُعد مهم، ويكفينا في هذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق). دلالة على أهمية الجانب الأخلاقي في تكوين الأمة، وفي دور الرسول صلى الله عليه وسلم بذاته بناء أخلاقي وجانب أخلاقي، وحينما سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق الرسول صلى الله عليه وسلم، قالت : "كان خلقه القرآن". كان صلى الله عليه وسلم يتمثل القرآن سلوكًا، وكان الصحابة رضي الله عنهم بسمو أخلاقهم أقاموا وأنشئوا جيلاً وأمةً متماسكة عزيزة عالية البنيان.

❑ **ثالثاً : تحقيق الأخوة**

تحقيق الأخوة، وتركيزها على جانب الأخوة الإسلامية المبنية على تعاليم الإسلام، ليست الأخوة المبنية على نعرات ذات نزعات عنصرية قبلية أو مناطقية أو ما إلى ذلك، وإنما قائمة على أساس التفاضل والتمايز والانسجام، انطلاقًا من معايير الصلاح والاستقامة، كما قال الله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)} الحجرات.

من السنة الإلهية التي أودعها الله -سبحانه وتعالى- في الاجتماع البشري بشكل عام: التمايز الطبقي، وجود الدرجات والتفاوت بين الناس، فالناس فيهم هذه النزعة، نزعة التدرج والتواضع في مستويات متباينة، وهذا في شقه الإيجابي هو محفز للإنسان للحراك الاجتماعي بحيث يحرص كل إنسان ويسعى لأن يتقدم ويعزز مكانته، والخطورة حينما ينحرف المسار وتصبح معايير التدرج معايير غير منطقية، كأن تكون مرتبطة على نزعة عرقية، أو جوانب وراثية، أو شكل، أو مال، فهذا يؤدي إلى تفكيك المجتمع وضعفه من الداخل وسهولة نفوذ الأعداء إليه، ولكن حينما يكون التمايز بين الناس بالتقوى والصلاح والاستقامة، فهذا شي بمقدور الناس جميعًا أن يعملوه، وأن يتنافسوا، وأن يحققوا ما يصبون إليه من مكانة، وما يسعون إليه من درجات.

❑ **رابعًا : ضرورة تكوين الوعي بوحدة الأمة ، ورعاية مصالحها**

يتمثل هذا في شعور الناس أنهم في مركب واحد، وفي سفينة واحدة، ينبغي أن يحرص الجميع على صلاح هذه السفينة وتماسك بنائها وصمودها أمام الأمواج العاتية، وعدم حصول خلل يتسرب منه الماء فيؤدي بالسفينة وبجميع من فيها إلى

الغرق، فلا بد من تربية الناشئة، وتربية الشباب، وأن تكون المناهج الدراسية، والتربية الإعلامية وغيرها من الوسائل التي تؤثر في الناس وفي الجماهير بشكل عام، ينبغي أن تركز على هذا الجانب، قضية التأكيد على وحدة الأمة وتماسكها، وأن مصلحة الأفراد مرتبطة بشكل كامل بمصلحة الأمة، فلا صلاح ولا حياة ولا استقامة لأمة إذا لم يكن هناك تكامل، وإذا لم يكن هناك شعور بالمسؤولية تجاه هذه الجوانب المهمة.

❑ **خامسًا : المحافظة على النظام العام**

وهو مرتبطة بما قبله -ضرورة تكوين الوعي بوحدة الأمة ، ورعاية مصالحها-، المجتمع نظام، والدولة نظام، والأمة نظام، فلا تستقيم هذه الأنظمة ولا تسير بطريقة صحيحة إلا إذا انصاع الجميع لتعليمات هذا النظام، وأصبحوا لَبِنَات في هذه المنظومة، لبنات متكاملة، كل لبنة منها تؤدي دورها ورسالتها وتقوم بمهمتها بالطريقة الصحيحة، فإذا تحقق هذا الشيء -وهو العمل وفق المنظومة العامة- هذا مما يساهم في بناء المجتمع.

والتربية الإسلامية تؤكد على ضرورة التركيز على هذا الجانب، وتؤكد على أن المصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة، بل في الحقيقة لا يمكن أن تقوم مصلحة خاصة إذا انفرطت المصالح العامة؛ لأن انفراط المصالح العامة، وانتشار التسيُّب، وعدم الحرص على النظام العام، يحول المجتمع إلى ما يشبه أو تنطبق عليه مقولة وعبارة "شريعة الغاب"، بحيث أن القوي يأكل الضعيف، ولا يأمن أحد على نفسه وعلى ماله، ولا شك أن من المعطيات المهمة في بناء الأمة: الانضباط والمحافظة والتداعي والتشاور والتناصح في سبيل أن يكون التئام النظام العام الاجتماعي وبشتى مجالاته، سواء كان تربويًا أو أمنيًا أو اقتصاديًا أو غيرها .

الحلقة (١٨)

❑ **سادسًا : الثقة بالأمة وبمقدراتها ، والولاء لها ، والانتماء إليها**

إن هذه الأمور مما يساعد الإنسان على العمل بإيجابية لبناء هذه الأمة، فحريٌّ بنا أن نوجه الناشئة إلى تحقيق الولاء، وانتمائهم إلى هذه الأمة الإسلامية التي جعلها الله سبحانه وتعالى شاهدةً على سائر الأمم آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر، وإذا كان هناك جوانب من الخلل ومن التقصير فينبغي أن تعدل وتصحح، وهذه الأخطاء توضع في إطارها المحدود، ولا يكون الأصل هو التقصير والخذلان، أو التشمت أو جلد الذات، وإنما يكون الأصل الثقة بالمقدرات، والثقة بالأمة وبإمكاناتها وبقدراتها والافتخار بها، طبعًا دون أن يكون ذلك خارجًا عن الحدود الإيجابية فيفتخر الإنسان بإنجازات غيره ثم ينام، وإنما بقدر ما يشكل عند الإنسان وعيًا وإحساسًا بالمسؤولية وحرصًا على أداءالدور الإيجابي في بناء الأمة، هذه مسؤولية الأمة بمجموعها ومسؤولية أفرادها.

وهذا الجانب التربوي الهام يظهر في كثير من النصوص الشرعية، ولو أخذنا على سبيل المثال: فروض الكفايات، فإنها تعني التكاتف والتعاون، فكلٌّ يسدُّ ثغرة من ثغرات الأمة. وواجب على المربين تربية الناشئة، وتعويدهم وغرس القيم الإيجابية، قيم العمل وقيم الإنتاج وقيم الثقة بالنفس، والثقة بالأمة، والثقة بإمكاناتها بروح تتسم بالصفاء والشفافية، بعيدًا عن النفاق وعن إطلاق الكلمات الجوفاء التي قد تضر أكثر مما تنفع، لا إفراط ولا تفريط، لا جلدًا للذات يؤدي إلى تحطيم للأفراد وتحطيم معنوياتهم وشخصياتهم، ولا أيضا غرورا يؤدي إلى الغفلة وتجاهل جوانب القصور، فلا بد من التوازن بين هذا وذاك .

❑ **سابعًا : نشر العدالة بين الناس**

العدالة في الحقوق والواجبات، فلا يمكن أن يتحقق تماسك للأمة ويحصل ولاءً لها إلا بنشر قيم العدالة، وشعور جميع الأفراد بوجود عدالة اجتماعية تعتمد على أن كل إنسان متاحة له الفرصة في العمل والتقدم، وفي المهمات، وفي الحقوق والواجبات، هذا مما يساعد في تماسك الأمة ويساهم في رقيّـها. إن وجود وتحقيق العدالة من الأمور المهمة التي تساهم في غرس الانتماء للأمة، وهو أمر مهم وأساسي في قيام الحضارات. والنظام التربوي بشكل عام والتربية الإسلامية تركز على هذه القضية، ولا يمكن أن تقوم منظومة اجتماعية أو منظومة حضارية إذا لم يكن هناك عدل بين الأفراد في الفرص وفي تكافؤها، وكما أشرت في الحقوق والواجبات.

❑ **ثامنًا : وجود وانتشار القيم الأخلاقية الدافئة**

كالتعاطف والرحمة والمودة والشفقة، فهذه القِيَم هي التي تجعل المجتمع يرتفع ويتسامى ويتلاحم، ويسوده الوئام وحسن الظن، ويسوده الترابط بدرجة كبيرة، ولا شك أن بروز وظهور هذه القيم المهمة من أبرز المؤشرات على قيام الأمة العزيزة الجانب والمتماسكة البنيان، والتربية الإسلامية تؤكد على هذا الجانب في جميع الدوائر الاجتماعية ابتداء من دائرة الأسرة، فينبغي أن يسودها الحب والوئام والمودة والاحترام، ثم أيضا مع الأقربون فالأقربون من ذوي القربى، والجيران، ومن الأصدقاء، أو زملاء العمل. إن انتشار هذه القيم من أبرز مؤشرات بناء الأمة، وينبغي على النظام التعليمي والتربوي أن يركز على هذه الجوانب سواء في المدرسة من خلال المنهاج الدراسي، أو المناشط التربوية أو التعليمية، وهذه من الأمور المهمة في بناء الأمة.

❑ **تاسعًا : القيم الإيجابية الفاعلة**

① التعاون : إن وجود القناعات لدى الأفراد بأن العمل المشترك ضروري جدا ، وخاصة في هذا العصر الذي يتسم بعصر التخصص ، فوجود التخصص الدقيق يحتّـم التعاون وعدم التنافس ؛ لأن التخصص الدقيق يساعد على بناء فرق عمل متكاملة . لا شك أن هذا من خيرية هذه الأمة ، فمن شعاراتها و أولويات عملها هو التعاون ، كما قال الله سبحانه و تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ(١١٠)} آل عمران. وفي الآية الأخرى:{وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} المائدة آية (٢). فالتعاون على الجوانب الخيرية، والإنجاز، والعمل على الطاعة والعبادة._ويرتبط به أيضا (أي التعاون) قيمة أخرى على جانب كبير من الأهمية، وهي :

② النصيحة : النصيحة هي نوع من أنواع التقويم التربوي، حينما ينصح المسلم أخاه المسلم فهو يقوّمه ويعدّله ويساهم في تطويره ويقلل من الأخطاء، وهو دلالة على ظهور وبروز جو صحي يتسم بالشفافية والصراحة والوضوح. إن اختفاء التناصح يعني ظهور الغِـيبة، والطعن من الخلف، أو النميمة، وهذه لا شك صفات ذميمة ومدمرة. إن التربية الإسلامية تؤكد على هذه الجوانب، قضية تقديم النصيحة بآدابها وبصورتها الجميلة التي لا تعتمد على التشهير، أو على الفضيحة، أو على التشفي، وإنما تقوم على إسداء النصح ونفع الآخرين بشكل متكامل.

③ التواصي على الحق : وهو مرتبط بالنصيحة، فإذا كانت النصيحة بدرجة كبيرة تعتمد على توجيه الآخرين إلى أخطاء عندهم، فإن التواصي بالحق يعني تكميل لهم، فالإنسان قد يكون قاصر، ولم يرتكب خطأ، وإنما غفل عن بعض الأمور، فالتواصي بالحق والتواصي بالصبر هذا مما يقوي الأنفس بعضها ببعض، ويشد الناس بعضهم أزر بعض، ويساعد في تماسك الأمة وفي قيامها.

❑ **عاشرًا : تربية الأفراد على التضحية في سبيل الأمة**

أي التضحية في سبيل الأمة، وعلى حمايتها، وعلى بذل الأموال، وبذل المهج في حمايتها ورعايتها، وفي صد الأعداء عنها. إن

الأمة العزيزة الجانب هي التي يقف أفرادها صفا وعلى أهبة الاستعداد، فكل يحرص على أن يضحي في سبيل الأمة بمجموعها، فالمسلم يحمي نفسه، ويحمي مجتمعه وإخوانه وأعراضه وقيمه التي يؤمن بها ودينه ومعتقده، فمما يساهم في بناء الأمة وتماسكها وجود هذا الشعور الجميل الذي يؤدي إلى التماسك، والترابط، والتنافس في سبيل الخير.

❑ **الحادي عشر : الحرص على الإتقان، وجودة العمل**

إنّ أداء العمل بطريقة صحيحة هو مما يريح الإنسان، ويريح ضميره، ويريح نفسه، ويريح ذاته، وأيضا يقدِّم الخير لنفسه ولمجتمعه، فغرس الشعور والرغبة في الإتقان وضبط العمل وإجادته والنصح في أداءه بأن يكون صحيحًا دقيقًا منضبطًا مفيدًا نافعًا، هذا مما يساهم في بناء أمة متكاملة وقوية وعزيزة الجانب.

❖ الهدف الثالث : بنـاء الحضـارة

إذا كانت الأمة مجموعة أفراد، فإن الحضارة هي تسلسل الأمة عبر تاريخها الطويل، حضارة متصلة، حضارة متكاملة، فالهدف الثالث لأهداف التربية الإسلامية هو : بناء الحضارة الإسلامية الخيرة التي تقدم الخير والفائدة والنفع للأمة عبر تاريخها الطويل، وأيضا للبشرية بشكل كامل. لا شك أن البناء الحضاري هو من الأبنية الهامة جدًا في المنظومة التربوية بشكل كامل، فبناء الحضارة، وتقديم المنجزات، وإفادة البشرية من المعطيات الحضارية المختلفة، هذه من الأمور الهامة جدًا.

❑ **تعريف الحضارة** : تحقيق التقدم للمجتمع وتفوقه من الناحيتين المادية والمعنوية في شتى مجالات الحياة.

هذا هو أبرز تعريف للحضارة، ويؤكد فيه على قضية وجودها في جانين مهمين متكاملين : الجانب المادي، والجانب المعنوي.

الجانب المادي للحضارة : وهو ما نراه من اكتشافات ومنجزات في وسائل الحياة، ووسائل النقل، ووسائل الاتصال، ووسائل المباني، وغيرها. **الجانب المعنوي للحضارة** : وهو ما يتعلق بالقيم والأخلاق، والثقافة، والإنجاز العلمي والمعرفي، والموروث الثقافي العام، الشعر والنثر والعلوم والمعارف.

❑ **الجوانب المهمة ، والأدوار المهمة للتربية في البناء الحضاري** :

إن للتربية دور كبير في تحقيق البناء الحضاري، وربما يتمثل في ثلاث جوانب سنتحدث عنها بشكل موجز و سريع، وهي:

① **الجانب الأول** : صيانة الحضارة من الانهيار : التربية تقدم -فيما تقدمه- نقل للتراث من جيل إلى جيل، إن تنقيح هذا الموروث الثقافي الذي ينقل من جيل إلى جيل هو مساهمة من التربية في استمرارية البناء الحضاري، بل أن التربية مسؤولة بدرجة كبيرة عن الإنجاز الثقافي والفكري، فالمنجزات العلمية سواء كانت على شكل مؤلفات أو أبحاث أو علوم أو معارف أو آداب أو فنون أو شعر أو غيرها، كل ذلك مما تقدمه التربية والتعليم في مفهومهما الواسع والعام لتحقيق البناء الحضاري.

② **الجانب الثاني** : المساهمة في دفع عجلة التقدم : إن التربية ليست فقط تنقل التراث من جيل إلى جيل فتضمن استمرارية الحضارة واستمرارية الموروث الثقافي، بل إنها تقدم منجزات ! فالنظام التعليمي مطالب بأن يستمر في تقديم المنجزات جيلاً بعد جيل، وآنًا بعد آن، ووقتًا بعد وقت.

③ **الجانب الثالث** : توجيه الحضارة للخير : إن الحضارة إذا لم يكن لها منظومة من القيم الدقيقة والواضحة والمتوازنة، فإن هذا قد يتسبب في ترنحها وانحرافها، كما نرى -على سبيل المثال- في الحضارة الغربية المعاصرة ، ففيها

بعض الانحرافات وبعض الخلل الذي قد يجعل الحضارة تنحرف إلى الشر، أو يكون لها تطبيقات مضرة بالبشرية، أو تنطلق من منطلق العالمية والعنصرية، مما يهدد الإنسانية بشكل كامل .

❑ **عناصر المنظومة الحضارية** :

١ / **الجانب المادي** : وهي المنجزات المادية التي نراها في الحضارة المعاصرة .

٢ / **الجوانب المعنوية** : وهي ما يتعلق بالآداب والفنون والثقافة والعلوم والمعارف والأخلاق والقيم .

٣ / **الجانب التنظيمي** : وهو ما يتعلق بالقوانين ودقتها ، والتشريعات وما يتعلق بها .

٤ / **الجوانب التنفيذية** : وهي مرتبطة بها - أي بالجانب التنظيمي- ، فلا فائدة من وجود أنظمة وتشريعات دقيقة ومتقدمة، إذا لم يكن هناك نظاما تنفيذيًّا وسلطة تنفيذية تطبق هذه التعليمات وهذه التشريعات بشكل واضح ودقيق.

الحلقة (١٩)

❑ الفصل السابع : الأصول النفسية للتربيـة

في هذه المحاضرة والتي تليها سنتحدث عن **الأصول النفسية للتربية**، سيكون الحديث تحديدًا عن حاجات ودوافع داخليَّة عند الإنسان، وعلاقة هذا بالتربية، ودور التربية الإسلاميَّة في إشباع هذه الحاجات وتوجيهها وتهذيبها التهذيب الصحيح.

هناك رابط مشترك بين موضوع الحاجات الإنسانيَّة وبين الأهداف، والرابط بينهما : **أنَّ كليهما محرك للسلوك.**

إنَّ "محركات السلوك الإنساني" من أهم الموضوعات التي تهتم بها التربية باعتبار أن العمليَّة التربويَّة هي "سلوك" ، وتهدف إلى : تطوير السلوك بطريقة صحيحة وتهذيبه، وتوجيه السلوك نحو الجوانب الخيِّرة والإيجابيَّة، وإقصاء أو إنهاء أو الحد من أنماط السلوك الخاطئ .

فالأهداف هي : محرك " خارجي " للسلوك : فالإنسان حينما يضع له أهدافاً تتسم بالواقعية، وتتسم بالمصلحة والفائدة، فلاشك أنَّه يسعى ويحرص ويعمل بشكل دؤوب لتحقيق هذه الأهداف، وبالذات حينما تكون هذه الأهداف ذات طابع إجرائي عملي تطبيقي، حيث يسعى الإنسان إلى إنجازها الواحد تلو الآخر، فيشعر براحة نفسيَّة، ويشعر أيضًا بتحقيق مستوى الإنجاز والطموح وإرضاء الذات نتيجة لتحقق هذه الأهداف .

إنَّ كل هذه الموضوعات قد تحدثنا عنها في المحاضرات السابقة، أما في هذه المحاضرة -كما أشرت- والتي تليها سوف نتحدث عن : المحركات الداخليَّة.

الأهداف هي : محرك خارجي ، أما الحاجات الإنسانية فهي : محرك داخلي للسلوك الإنساني .

إن التربية الإسلاميَّة تهتم - بحكم واقعيتها، وبحكم تطبيقها، وبحكم إجرائيتها - بالتعرُّف على الحاجات الإنسانيَّة التي أودعها الله سبحانه في النَّفس الإنسانيَّةٍ، وتتعامل معها بطريقة صحيحة ، وذلك : بإشباعها بالطريقة الصحيحة، وبتوظيفها في تحقيق الأهداف الإسلاميَّة العليا، وفي بناء الشخصية المتوازنة؛ حتى لا يسيطر جانب على جانب، ولا يحصل هناك كبت، وما يترتب عنه من ضغوط نفسية أو مشكلات قد تؤدي إلى بعض التوترات، أو بعض المشكلات، أو بعض أنماط السلوك السلبي.

سنتحدث عن مجموعة من الحاجات الإنسانية الهامَّة، وعلاقتها وأثر التربية في التعامل معها، وفي استثمارها، أو إشباعها بالطريقة الصحيحة .

❑ **الحاجـات الإنسـانيـة الهامَّـة**

❖ المستوى الأول : الحاجات العضوية الجسديَّة الماديَّة للإنسان

إنَّ هذه حاجات ضروريَّة وماسَّة، ولابدَّ من التعامل معها بالطريقة الصحيحة، من أمثلة هذه الحاجات: الحاجة إلى الهواء، الحاجة إلى الشرب والغذاء بشكل عام، الحاجة إلى الأكل.

أولاً : الحاجة إلى الهواء :

إنَّ الحاجة إلى الهواء هي من أكثر الحاجات ضغطاً، فالأكسجين هو من أكثر الحاجات ضغطاً على الإنسان ؛ باعتبار أنَّه لا يستغني عنه ولا لدقيقة واحدة ، وباستمرار ؛ في حالة يقظته ونومه ، وحركته وسكونه هو محتاج إلى كميَّات من الهواء والأكسجين الذي هو المُغذي للجسم ، والمُحرك للدورة الدمويَّة ، والمساعد على بناء الجسم بطريقة صحيحة . لذلك نجد أن هذه الحاجة لـمَّا كانت أكثر الحاجات العضويَّة والجسميَّة ضغطاً على الإنسان ، جعل الله سبحانه وتعالى الإنسان يتناولها بلا تكلُّف. إنَّ هذا الهواء أو الأكسجين -الذي تحتاجه أجسامنا- نتناوله ونستنشقه ونحن في حركتنا، وفي سكوننا، وفي بيوتنا، في حال اليقظة، وفي حال المنام. إنَّ هذه الحاجة تؤثر على ما سواها من الحاجات، فلا يمكن للإنسان أن يؤدي وظائفه بطريقة صحيحة إلا إذا كان يحصل جسمه على ما يحتاجه من الأكسجين بطريقة صحيحة، وبطريقة كافية. غنيٌ عن القول : أنَّه من المهمّ جداً للمعلمين في مدارسهم وفي صفوفهم الدراسيَّة، أن يحرصوا على التهوية الصحيحة، فإنَّ وجود التهوية السليمة ممَّا ينشط الإنسان، وينشط الفكر، وينشط الذهن.

ثانيًا : الحاجة للغذاء

إنَّ الحاجة للغذاء – سواء أكلاً أو شربًا – هي من الحاجات الضروريَّة والهامَّة للإنسان، إنَّ من حق الإنسان أن يحصل على لقمة العيش، وأن يحصل على ما يحتاجه من غذاء، إنَّ هذه الحاجة تضغط على الإنسان، وقد تُوْدِي به إذا قلَّت. إنَّ قلَّة توفر الطعام تؤدي بالإنسان إلى التوترات، وإلى ضيق، وربَّما -ومن شدَّة الفقر وشدَّة الجوع- قد تؤدي إلى تدهورٍ في المستويات المختلفة، أي في المستوى القِيَمِي و العَقَدِي والأخلاقي. إنَّ الإنسان وتحت ضغط الحاجة إلى الأكل ممكن أن يضعف، ويتنازل عن كثيرٍ من الأمور ! إنَّ من جوانب الكرامة الإنسانيَّة أن يتحصَّل الإنسان على ما يحتاجه من غذاء بلا منٍّ ولا أذى، وهذا مقدمة لتحقيق الحاجات الإنسانيَّة العليا.

ثالثًا : الحاجة لدرجة الحرارة المناسبة

إنَّ شدَّة الحرّ تؤثِّر على الإنسان وعلى سلوكه وعلى تفاعله مع الآخرين، وكذلك شدَّة البرد تُؤثِّر على صحته وتُؤثِّر على سلوكه وعلى بواعثه الداخلية والخارجية الأخرى.

رابعاً : الحاجة إلى التكاثر ، والحاجة الجنسيَّة

إنَّ الحاجة الجنسيَّة هي من الحاجات المغروسة في الإنسان، وبطبيعة الإنسان، فإنَّه يسعى إلى إشباع هذه الغريزة بالطريقة الصحيحة، وإن لم تتوفر له، فإنَّه ربَّما يسلك السلوك الخاطئ. إنَّ الحاجة إلى التكاثر والحاجة الجنسيَّة باعث ومحرك من محركات السلوك الإنساني، ومن حقِّه أن يشبعها، وأن يسعى وأن يعمل ويكدح حتى تتوافر له الفرصة ليتزوج زواجًا شرعيًّا، ويشبع حاجاته النفسيَّة والجسديَّة وغريزة البقاء وغريزة حبَّ الأبناء، وهذه كلها ذات أهميّة كبيرة .

من نِعَم الله سبحانه وتعالى على الإنسان أن جعل سائر الحاجات الجسمية تظهر عنده من لحظة الولادة، فالحاجة للهواء

والأكل والشرب والدفء، هذه كلَّها تُولَد مع الإنسان. أما الحاجة الجنسيَّة فإنَّها تنضج بعد نمو الإنسان واكتمال نموه الجسمي والعقلي، بمعنى أنَّها مرتبطة بقدرة الإنسان على تحمُّل مسؤولية الزواج وإنجاب الأطفال وتحمُّل مسؤوليتهم، وإعاشتهم وطلب الرزق لهم. إنَّ من حكم الله سبحانه وتعالى أن جعل هذه الحاجة تظهر في وقت النضج، ووقت القدرة على تحمُّل المسؤولية.

أثر الحاجات العضوية على السلوك الإنساني [1]

إنَّ هذه المجموعة من الحاجات العضويَّة (الفسيولوجيَّة) والجسميَّة مهمَّة جدًا، ومحرِّك للسلوك الإنساني، فالنَّاس تتحرك طلباً للقمة العيش وللرزق ولإيجاد مأوى، وأيضا لتكوين أسرة وإنجاب أطفال، وهذه أهداف مشروعة، وحقٌّ للإنسان. إنَّه من المروءة أن يسعى الإنسان، ويكدح، ويتعب، ويعمل لسنوات طويلة؛ حتى يعيش عِيشة كريمة هانئة مطمئنة.

إنَّ هذه المجموعة (الأولى) من الحاجات الإنسانيَّة تُحرِّك وتَدفع السلوك الإنساني بشكلٍ مباشر، وبشكلٍ واضح، وبشكلٍ صريح. إنَّ تهديد شيء من هذه الحاجات قد يؤدي بالإنسان إلى ارتكاب جرائم، أو مشكلات، إما بدخول شجار، وربَّما قد يصل إلى القتل، فإذا لم يجد الإنسان وسيلة لتناول ماءً أو غذاءً إلا بأن يقتل، وقد حيل بينه وبين غذائه، فالغالب أنَّه قد يضطر إلى ارتكاب جريمة، وفي هذا دلالة على قوة تأثير هذه الحاجات الإنسانيَّة الهامَّة على السلوك الإنساني. لكن وبالرغم من هذه التلقائية، وهذه القوة في دافعية هذا السلوك، نجد أنها تدفع بقوة، وفي نفس الوقت تُشبع سريعًا ! كما أشرنا قبل قليل أنَّ الإنسان ربَّما يَهِمّ بالقتل إذا كان في حالة عطش شديد وقد حيل بينه وبين الماء، لكنه وبمجرد تناوله كأس من الماء أو كأسين من الماء، يتحول مائة وثمانين درجة ! وتنتهي كلَّ هذه المشكلات وهذا التوتر وهذا التحرك السلبي نحو سلوك معين.

<u>إنَّ التربية الإسلاميَّة في أسسها وأصولها وتطبيقاتها ومبادئها تحرص على إعطاء هذه الحاجات ما تستحق من إشباع؛ لما لها من دور فاعل في بناء الشخصيَّة الإسلاميَّة المتوازنة والمتكاملة، سواءً أنَّ يأتي هذا بـ :</u>

١ - الحثَ على طلب الرزق :

إنَّ فضيلة الإنسان الذي يسعى في الأرض يطلب الرزق، ويسعى للعمل بعرق جبينه ليجمع قوتَه، وينفق على نفسه وأهله. إنَّ دلالة الحديث: (أنَّ خير ما ينفقه الإنسان هو لقمة يضعها في فيّ زوجته) ، أو كما ورد في الحديث الآخر: أنَّ أفضل الصدقات وأفضل التقرب المالي هو ما ينفقه الإنسان على من جعله الله سبحانه وتعالى مسؤولاً مسؤولية تامةً ومباشرة عن إعالتهم ومعيشتهم، كزوجته، وأبنائه، وأبويه -إذا كانا في حاجة له- حتى يعيش الجميع بعزَّةٍ وكرامةٍ.

إنَّ من سنن الحياة أن تكون هناك نسبة معينة -قد تصل إلى خمسة بالمائة، ربَّما تقل- يكونون من الأثرياء في البلد، ومثلهم في النسبة قد يكونوا فقراء مُدقعين.

ومن حِكَم الله سبحانه وتعالى أن جعل بعض النَّاس موفقاً لكسب رزقه، وكسب عيشه، ومن حكمه أيضا سبحانه وتعالى أن جعل بعض النَّاس أخرقًا لا يستطيع أن يعمل ولا يستطيع أن يجمع رزقه، وجعله عالة على الآخرين ! وهذه حِكم لله سبحانه وتعالى، وهذا خلق الله سبحانه، لكنَّ الله سبحانه وتعالى جعل لهؤلاء الفقراء المدقعين حقًّا في أموال الأغنياء؛ حتى يسدُّوا حاجتهم، ويعيشوا بكرامةٍ وسترٍ، ولا يستجدون النَّاس، ولا تضيع كرامتهم، طلباً للرزق، وطلباً للمعاش.

٢ - الحث على الزواج :

[1] / أضيف هذا العنوان أثناء المراجعة

(يا معشر الشباب من استطاع منك الباءة فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم). البدائل في حالة عدم القدرة المادية – أو غيرها – على الزواج : هناك وسائل أخرى تكسر حدَّة هذه الغريزة التي قد تؤدي بالإنسان إلى مزالق أو انحرافات أو سلوك الطريق الآثم، وبدلاً من هذا: الصوم، فالصوم يكسر حدَّة الشهوة، ويُضعِف هيجان النَّفس.

❖ **المستوى الثاني** : **الحاجات النفسية للإنسان "الحاجـة إلى الأمـن"**

إنَّ طمأنينة النفس وسكينتها واستقرارها ووداعتها، مطلب إنسانيّ غريزي فطري، يسعى الإنسان بطبيعته إلى تحقيق مستوى الأمن والشعور بالراحة والسكينة. والأمن له جوانب كثيرة جداً، ويرتبط بعضها ببعض، وكلَّها ذات تأثير نفسيٍّ على الإنسان وعلى شخصيته وسلوكه.

❑ **الجوانب المهمَّة للأمن** :

من الجوانب المهمة للأمن :

١. **الأمن على النفس** ٢. **الأمن على العرض** ٣. **الأمن على المال** ٤. **الأمن على الكرامة** ٥. **الأمن على المعتقدات**.

هذه كلّها جوانب مهمة من جوانب الأمن ، ولعل **أبرزها** : الأمن على النفس، والأمن على العرض، والأمن على المال، بحكم أنها تظهر بشكل كبير، وقد تتعارض المصالح، ويكون هناك رغبات في المال، أو ما إلى ذلك، فتضغط على الإنسان لكي يكون في مستوى من القلق والتوتر .

إنَّ هذا الأمن بمفهومه العام والشامل هو حاجة إنسانية مهمَّة، ومرتبطة – بالذات في هذا العصر – بقيام الوحدة السياسيَّة، أو النظام السياسي، أو الدولة، أو الحكومة بمظهرها، وقوّة نظامها، وتماسكها.

لا شك أنَّ الأمن من الحاجات الإنسانية الهامَّة جدًا، نحن نرى في وسائل الإعلام وفي الأخبار، حينما يختلُّ الأمن في بلد أو مدينة أو مكان في العالم، نجد أنَّ النَّاس يهرعون زرافاتٍ ووحدانا، فيتركون أموالهم، ويتركون البلاد التي نشؤوا فيها؛ طلبًا للأمن على أنفسهم وعلى أبنائهم وعلى أعراضهم، وعلى ما يستطيعون حمله من ممتلكات. إنَّ تحقيق الأمن غايةٌ ضروريةٌ هامةٌ جداً، واهتمت بها التربية الإسلاميَّة اهتماما عالياً؛ لأنَّه لا يمكن أن تقوم حضارة أو نهضة أو تقدم، إلا على بساط الأمن، فلا يمكن أن يذهب الناس للتعليم تحت دويِّ الرصاص والمدافع والبنادق، ولا يمكن لعالم أن يفكر ويبدع وينتج وهو مختبئ وخائف على نفسه وعرضه وماله، وهذه أمور أساسيَّة ولا بد من تحقيقها.

الأمن –كما أشرت– له مستويات متعددة، منها هذا المستوى، ومنها على سبيل المثال : **٦. الأمن على مصدر الرزق**

نجد أنَّ النَّاس يميلون إلى البحث عن وظائف ذات طبيعة استقرارية، وتعطي دخلاً ثابتاً مستمراً، حتى ولو لم يكن كثيراً ! إنَّ الأمن على مصدر الرزق من أهمِّ جوانب الأمن، وكثير من النَّاس يفضله على الدخل الكثير الذي يكون عرضه للتغير والتزلزل والانقطاع !

هذه المجموعة الثانية من مستويات الحاجات الإنسانية، والتي هي الحاجة إلى "الأمن"، والتي كانت تشمل :

٧.الأمن على الدراسة ٨. **الأمن على الوظيفة** ٩. **الأمن في مصدر الرزق** ١٠. **الأمن في الطرقات** ١١. **الأمن المروري**، وإلى آخره، لكنَّها يجمعها رابط واحد، وهي من أهم محركات ودوافع السلوك الإنساني.

الحلقة (٢٠)

نستكمل الحديث عن الحاجات : الحاجة الثالثة والرابعة، وهي ذات طابع اجتماعي.

❖ **المستوى الثالث : الحاجة إلى الانتماء إلى مجتمع معين**

بعد أن يتحقق للإنسان إشباع حاجاته العضوية بطريقة صحيحة ومتوازنة، وأيضًا يطمئن على نفسه وعرضه وماله وفكره ومعتقده وجميع ما يتعلق بالنواحي الأمنيَّة، فإنَّه يسعى بطبيعته إلى : الانتماء إلى الجماعة ، أي جماعة معينة يعيش فيها، هو بحاجة إلى الأسرة ليكون عضوًا في الأسرة له دوره، ويعتز ويفتخر بانتمائه إليها، فتتقبَّله الأسرة بالطريقة الصحيحة. يعيش في مدرسته إذا كان تلميذًا فينتمي إلى هذه المؤسسة - أي مجتمع المدرسة- ويتقبَّله الآخرون ويرضون به عضواً في مجتمع المدرسة، يعيش في بلده كمواطن له حقوق وعليه واجبات، فيفتخر بوطنه ويفتخر به وطنه ، ويفتخر بأمته وتفتخر به أمته.
هذه الحاجة مهمَّة جدًا، وهي من أكثر الحاجات الإنسانية تأثيرًا في السلوك الإنساني !

إنَّ شعور الإنسان بالاغتراب وعدم التقبُّل هذا يجعله يحرص ويسعى لكي يُتقبَّل في هذا المجتمع، وأن يحتويه هذا المجتمع، وإذا كان المجتمع رافضًا له إما لأسباب عرقيَّة أو عنصريَّة أو غيرها فإنَّ هذا ممَّا يولد عند الإنسان ردَّة فعل سيئة، فتؤدي إلى كراهيَّة المجتمع، وربَّما حبَّ الانتقام منه !

إنَّ التربية الإسلاميَّة تقوم على المحبَّة والاحترام والتعامل مع الفرد بِكَرم وبتقبُّل، كما تقوم بإعطاء التفاضل والتمايز بين النَّاس بناءً على منجزاتهم، وبناءً على صلاحهم وتقواهم.

أدلة رسوخ الحاجة إلى الانتماء وأهميتها تتلخص في ناحيتين :

الناحية الأولى : حرص الإنسان على سمعته، فالمجتمع يضغط على الإنسان ! إنَّ حرص الإنسان على السمعة مرتبطة بإشباع الحاجة إلى الانتماء؛ لأنَّ الإنسان – لا سمح الله - إذا تلوثت سمعته وشاع عنه أمراً سيئاً، هذا يؤدي إلى عدم تقبّله وإلى رفضه من المجتمع، وهذا يسبِّب له كثير من الإيذاء والتعب والإرهاق والتوتر النَّفسي، فهذه حاجة مهمَّة، وتأتي أهميتها: أنها حاجة معنوية .

الناحية الثانية : أن الحاجة إلى الانتماء تختلف عن الحاجات السابقة ، لو قارَنَّا مثلا الحاجة إلى الانتماء بالحاجات العضوية - كالحاجة للغذاء مثلاً - فالحاجات العضوية وبالرغم من شدَّة ضغطها وتحريكها للسلوك الإنساني، إلا أنَّها في لحظة يتوقف تحريك هذا السلوك، ودفع هذا السلوك ! فبمجرد أن يحصل الإنسان على الطعام تتوقف الدافعية، على الأقل مؤقتًا، أما الحاجة إلى الانتماء بالرغم من أنَّها تأتي في مرحلة تالية للمستويات السابقة، إلا أنَّها لا يُمكن إشباعها بلحظة، أو بساعة، أو بيوم !

إنَّ الإنسان حين يريد أن يبني له سمعة وسجل حافل من الإنجازات حتى يتقبَّله الآخرون، يحتاج هذا إلى وقت طويل. إنَّ بناء السمعة والذكر الطيِّب والذِّكر الحسن، هذا لا يمكن أن يتأتى إلا بجهدٍ طويل ومستمر ومتواصل. والتربية الإسلاميَّة تهتم بهذا الجانب وتركِّز عليه، وبالذات في مرحلة الشباب !

❑ **مرحلة الشباب والحاجة إلى الانتماء** [1]

إنَّ الشباب حين يمرُّون في هذه المرحلة الحسَّاسة من العمر - وهذا مشاهد في المجتمعات المعاصرة - يمُرُّ الشاب بحالة من

[1] / أضيف هذا العنـوان اجتهادًا أثناء المراجعة

الاغتراب الاجتماعي ! وهذا ليس خطأ الشباب، إنَّما يجب أن نعترف أنه خطأ اجتماعي عام وشامل كنتيجة لعدم الاعتراف برجولة الشاب !

يمكننا القول – إن صح التعبير – أن كثيرًا من الآباء والأمهات، والمعلمين يتعاملون مع مرحلة البلوغ – الانتقال من الطفولة إلى الرجولة – ؛ يتعاملون مع الشاب – في المقابل أيضا مع البنت – أنَّه "رجل مع وقف التنفيذ" ؛ بمعنى أنَّه لا يسمح له أن يمارس سلوكيات طفوليَّة، فيقال له : " أنت رجل ! " ولا يحصل على شي من التقدير والاحترام والتقبُّل الاجتماعي؛ نتيجة لقرب عهده بالطفولة ! إنَّ هذا من أكثر أسباب انحراف الشباب !

فحريٌّ بالمعلمين والمعلمات ،والآباء والأمهات، أن يساعدوا أبنائهم في الانتقال في هذه المرحلة من خلال معاملتهم كناضجين وكبار ، وذلك باستشارتهم، واحترامهم، وعدم انتقاصهم، وعدم السخريَّة بهم، والثناء عليهم أمام الآخرين، ممَّا يُشعر بشيء من التقبُّل؛ لأنَّه إذا لم يجد الشاب تقبُّلا اجتماعي وانتماء داخل بيته، فإنَّ هذا سيدفعه للبحث عن التعويض عن ذلك خارج المنزل ! لذلك نجد إنَّ هذه الفئة يجتمع بعضها مع بعض نتيجةً لهذه المشكلات – في المدرسة أوفي البيت – فيجتمعون مع بعضهم، فهمومهم مشتركة، ويتحقق بينهم الانتماء، ويعطون بعضهم بعضًا الحقِّ في الانتماء الاجتماعي، والثقة، والرجولة، وما إلى ذلك؛ لأنَّهم محتاجين لهذا الأمر !

ولكن قد يؤدي هذا غالبًا إلى تكوين العصابات والمجموعات، فتضِل وتنحرِف، فيجب أن نحرص على أن لا تتكون مجموعات الشباب بشكل قويٍّ وصارم، وفي المقابل رفض للأسرة ورفض للأهل، إنَّ الأسرة والمدرسة عليهما مسؤولية كبيرة في تحقيق التقبُّل الاجتماعي، ليس هناك أحبُّ على الفتى أو الشاب من أن يقال له : "أنتِ رجل" ، "أنا أحيي فيك رجولتك" ، ويقال للمرأة : "أنتِ امرأة تتسمين بالعقل والرزانة"، فهذا يعطيهم الدور الاجتماعي الذي يمكن أن يقوموا به ويتقمَّصونه ويسعون لإثباته.

بعد أن يتحقق للإنسان هذا المستوى الذي هو "الانتماء الاجتماعي" ، فسينتقل إلى مستوى أعلى وهو "مستوى تحقيق الذات"

❖ المستوى الرابع : الحاجة إلى تحقيق الذات

❑ إذا عاش الإنسان عيشة متوازنة وطبيعيَّة وسويَّة، وتحقق له الانتماء الاجتماعي، وأصبح مقبولاً في وسط البيئة والمجتمع الذي يعيش فيه، فإنَّه ينتقل إلى مرحلة مهمَّة جدًا ، وأساسيَّة ، وخطيرة في نفس الوقت ! فبعد أن يتحقق للإنسان " الانتماء الاجتماعي " فالحاجة التي بعدها هي : " الحاجة إلى تحقيق الذات "، بمعنى أنه بعد أن يتقبَّله مجتمعه الذي يعيش فيه، فإنَّه يسعى لأن تكون له مكانه متميِّزة داخل هذا المجتمع، أي " الحاجة للتميُّز ، وتحقيق الذات "، يعني يريد أن يشعر بأنَّ له مكانة متميِّزة عن الآخرين، وعن أعضاء هذا المجتمع، في الفصل الدراسي –على سبيل المثال- : بعد أن يكون التلميذ مقبولًا من بقيَّة زملائه، ويتعاملون معه بطريقة صحيحة، فسيحرص على التميِّز.

❑ إنَّ النَّفس الإنسانية تسلك هذا الأمر بتلقائية وبدون تخطيط ! فبعض التلاميذ مثلاً يسعى للتميِّز من خلال ما وهبه الله سبحانه وتعالى من طاقات عقليَّة، وقوَّة إرادة وصبر، وبهذا يحرص على التميُّز في الدراسة ويكون "متفوقا" ، هناك آخرون أقلُّ قدرة عقليَّة وأقل معرفة، ربَّما تجد بعضهم يميل لأن يكون "قائداً للمجموعة" ومسؤول عن ضبط الصف وإدارته، وآخرُ ربَّما يميل إلى جوانب النشاط، كالجوانب الفنيَّة ، فقد يكون مثلاً " رسَّاماً موهوباً " فيبرز، وهذا مرتبط بالإبداع .

❑ إنَّ الإنسان دائماً يسعى لأن يتميَّز من خلال الصفات الموجودة فيه، لذلك ينبغي أن نحرص على أن نكتشف أبناءنا،

ونوجههم التوجيه الصحيح؛ لأنَّ هذا ممَّا يساعد على تحقيق الرضا عن الذات. الإنسان عندما يشعر أنَّ له مكانة متميِّزة في مجتمعه، هذا ممَّا يساعد في تحسين نظرته لنفسه، وأيضاً يساهم في تحقيق مستوياتٍ معينَّة من الإبداع واكتشاف القدرات الموجودة عنده، فقد تكون "قدرات اجتماعية" ، بعض الشباب بطبيعته عنده قدرة اجتماعية، يستطيع أن يتحدث وتُسلَّط عليه الأضواء، كمتحدث اجتماعي، وإنسان آخر مثلاً كريم ، يَبذل ويُعطي ويَتكرّم على الآخرين، هناك آخر تجده – ونرى هذا في بعض المدارس باعتبار أنَّ المدرسة مجتمع يحوي عيِّنات مختلفة من التلاميذ – فنجد أحيانا بعض الأطفال، وبالذات الشاب الذي تكرر رسوبه وتأخَّر وأصبح بينه وبين الزملاء في الفصل فارق زمني معين، ونتيجة لانحراف هذه الحاجة يُحاول أن يُبرز نفسه ويُظهر نفسه ويحقق ذاته من خلال : العناد ، أو المكابرة ،أو الجرأة، وعدم الاحترام للمعلم؛ كي يَشعر أمام الطلاب الآخرين أنه هو الذي يستطيع أن يتحدَّى المعلِّم، أو يُسكِت المعلِّم، أو يُخِيف المعلَّم، وهذا لا شك أنَّه من انحراف هذه الحاجة.

❑ نحن نؤكد على: **أنَّ هذه الحاجات الإنسانيَّة إذا لم تُشبَع بطريقة صحيحة ، فإنَّها تؤدي إلى دمار الإنسان ، ودمار المجتمع ، بل ودمار الحياة بشكل كامل.**

إن الحاجة إلى تحقيق الذات من أخطر الحاجات الإنسانية، ومن أكثرها تأثيراً ؛ لأنَّ إشباعها لا يتحقق إلا بالاستمرارية والجهد، خاصَّة لمَّا تكون في مجال إيجابي. الإنسان قد يسعى لتحقيق ذاته من خلال إبراز مكانته العلميَّة ، فالعلماء لهم دوافع نفسيَّة ؛ كحبِّ العلم والاشتغال به ، وأيضًا تقدير المجتمع وتقدير النَّاس والسمعة العملية والمكانة العملية هذا محرك للسلوك الإنساني ودافع له .

❑ هناك فئات كثيرة من النَّاس لا تستطيع أن تتميَّز بقدراتها العلميَّة، أو الإبداعيَّة في مجال الفنون، أو الأشياء التي تُفيد النَّاس، أو خدمة النَّاس، أو الخدمات التطوعيَّة، أو الأنشطة والنواحي الرياضيَّة، وهذه كلها ممكن أن تساعد في تحقيق الذات بطريقة صحيحة، لكن بعض النَّاس يعوِّض ذلك بـ "المظاهر" ! وهنا تأتي مشكلة تربويَّة واجتماعية، بل واقتصاديَّة كبيرة جداً. حينما نتحدث عن " توظيف المال في تحقيق الذات " ! نراها واضحة للعيان بشكل مستمر، الإنسان يسعى أن يكون متميِّز عن الآخرين بملابسه، وبجواله، وبساعته، وبسيَّارة يركبها – وهذا عند النساء يكون أكثر- ففي العنصر الرجالي في مجتمعاتنا أخطر ما هنالك السيارات والتنافس فيها ! فيضغط الشاب على أسرته كي يمتلك سيَّارة معينة، وأهمُّ ما فيها أن تكون غاليَّة الثمن حتى يشعر أنَّه متميِّز عن الآخرين، وهذا إشباع وهمي، وليس إشباع حقيقي ! بل إنَّ له مساوئ كثيرة – كما أشرت- فمن النواحي الاقتصادية : تدفع مبالغ طائلة في شراء سيارة ممكن تقل إلى النصف، أو أقل من ذلك! فهي حاجات إشباع نفسي، في عالم المرأة نجد الأشياء أوسع من هذا بكثير، فعالم الموضة، والأزياء، والملابس، وفي الأفراح تكرار الملابس وغيرها، هذا من التحقيق الوهمي للذات، وإشباع هذه الحاجات بطريقة خاطئة.

❖ المستوى الأعلى : الحاجة لتقديـر الذات

حسب تصنيف سلم الحاجات الإنسانية أن المستوى الأعلى هو : الحاجة إلى تقدير الذات . بعد أن يصبح الإنسان متميزاً، ومحققاً لذاته، ويتكرَّم عليه مجتمعه بالاعتراف بتميِّزه بعلمه، أو بكرمه، أو بأخلاقه، أو بأعماله التطوعيَّة، أو ما إلى ذلك ، عند تحقق هذا الشيء يصل الإنسان إلى مرحلة إرهاف الحسّ، وإلى العطاء، وردِّ الجميل للآخرين، فنجد أنَّ الإنسان يستمر في البذل والعطاء والإحسان إلى الآخرين والتكرُّم.

هذه نظرية في ترتيب الحاجات الإنسانيَّة، نجد أنَّ هذا الترتيب : الحاجات الفسيولوجية (أو العضوية)، ثم الحاجة للأمن، ثم

الحاجة للانتماء،ثم الحاجة إلى تحقيق الذات، ثم الحاجة إلى تقدير الذات. ربَّما تكون هذه الحاجات **عضويَّة واجتماعية** بدرجة كبيرة.

لكن هناك حاجات أخرى لا تقلّ عنها، ومن أهمِّها وأكثرها تأثيراً في سلوك النَّاس:

❖ الحاجة إلى التدين

الإنسان بطبيعته خلقه الله سبحانه وتعالى مفطوراً على العبادة، وخاضعًا لله سبحانه وتعالى وعابدًا لله، وفي نفسه حاجة لأن يقوم بهذه العبادات وأن يؤديها كما أمره الله سبحانه وتعالى، باعتبار أنَّه مسلم، وخلقه الله سبحانه وتعالى مسلمًا ، وكما ورد في الحديث : (كل مولود يولد على الفطرة -المقصود الفطرة هنا الإسلام- فأبواه يهوِّدانه، أو يُنصِّرانه، أو يُمجِّسانه)، فالحاجة إلى التدين، والحاجة إلى العبادة، حاجة أصلية وأساسيَّة في الإنسان، وتُحرك وتَدفع سلوكه ، بل إنَّها من أخطر الحاجات ! فالإنسان يضحِّي بمأكله، ويضحِّي بمشربه، ويضحِّي بأمنه، ويضحَّي بمكانته الاجتماعية في سبيل معتقداته التي يؤمن بها .

خلاصة هذا : أن الحاجات الإنسانية ، والنفسية الإنسانية ، مهمة جدًا ، وينبغي على المربي سواءً كان أبًا أو أمًّا ، معلِّمًا أو معلِّمة أن يحرص على إشباعها ، وعلى تحقيقها بالطريقة الصحيحة .

بهذا نكون ختمنا هذه السلسلة من محاضرات

أصول التربية الإسلامية

❑ موضوعــات المقــرر